

الوعي الإسلامي

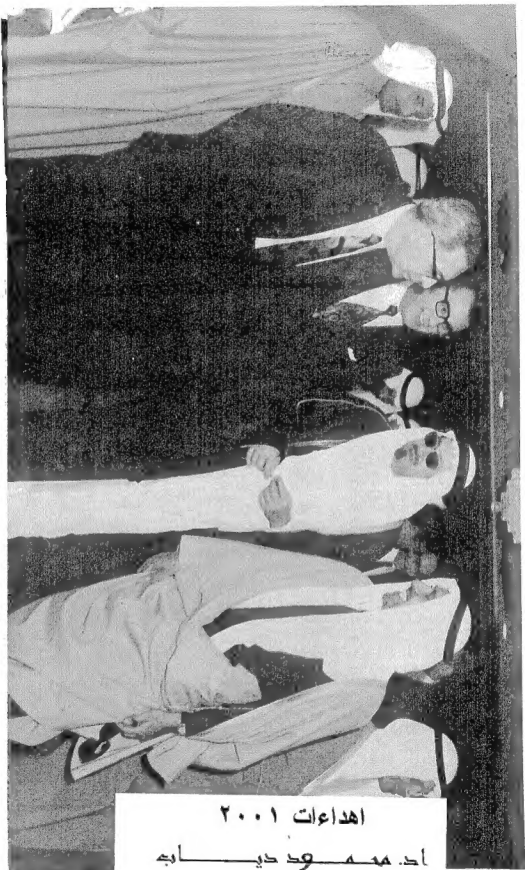
إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة - ٨٧ - غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ - ١٥ - أبريل (نيسان) ١٩٧٢ م



عدد خاص بمناسبة المولد النبوي الشريف

بعض اعضاء وفد المركز الاسلامي يلتقي أثناء زيارتهم للكويت ...



اهداءات ٢٠٠١

اد. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

حديث الشهر

أُحَادِيث يَجِبُ تَصْحِيحُ فَهْمِهَا

نلفت النظر إليها ، ندعو إلى التركيز عليها وتصحيح مفاهيمها في أذهان من غرر بهم — عن قصد أو غير قصد — فاستمروا الذنب والتوبة طمعا في المغفرة ، أو رضوا بالدون من الحياة اعتمادا على أن ما خف حمله خف حسابه ، أو جنبوا عن الجهر بالحق والجهاد في سبيله إيمانا بالعزلة وخطا في تصور (عليكم انفسكم) .

١ — أحاديث العفو :

وردت أحاديث كثيرة تنبئ عن سعة رحمة الله ، وتدل على واسع مغفرته وواسع عفوه ، وأنه — سبحانه — يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، وأن هذا الفضل الإلهي العظيم متاح للإنسان ما لم يفرغ ، ومتاح للإناس جميعا في طول الدنيا وعرضها ، وعلى اختلاف أجيالها وممر عصورها حتى تطلع الشمس من مغربها ، ويأذن الله

لعمل خير ما يقدم للقراء في ذكرى مولد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم — تجلية معاني بعض أحاديثه الشريفة التي اشتبهت مفاهيمها على بعض الناس ، فبعدوا عن مراميتها ، وفسروها على غير وجهها . أما لعدم احاطتهم بالأحداث والملابسات التي تلقى الضوء على المقصود بها ، وأما لعزلتها عن مرامها ، وتحدد مسارها مما جاء به الوحي الإلهي والهدى النبوي .

ولو أن هؤلاء المحدثين المفسرين ممن لا يستمع لقولهم ، ولا يؤخذ عنهم ولا يوثق فيهم لكان الخطب ، ولكنهم ممن تقبل أيديهم ، ويتخلق العامة حولهم وتتلقى أقوالهم بالقبول والرضا دون مناقشة ولا تردد .

ولو لم يكن لهذا التشطط في التفسير أثر بعيد في سلوك العامة — وما أكثرهم — أضر بهم وبأمتهم في دينهم ودنياهم — لما احتاج الأمر إلى هذا الاهتمام والتنبيه .

ونختار من هذه الأحاديث نماذج من أبواب العفو والرهس والفن .

للحياة على ظهر الارض بالافسول والانقطاع .

وهذا الكرم الالهى الكبير الذى تشير اليه هذه الاحاديث تسانده الآيات القرآنية فى وضوح وجلاء ، وبهذا أصبح عقيدة راسخة فى قلوب المؤمنين ، فالله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ورحمته وسعت كل شئ ، ولا يتعاضمه شئ ، ولا حرج على فضل الله ، ولو أن الخلق جميعا اطاعوه ما زاد ذلك فى ملكه شئ ، ولو أنهم جميعا عصوه ما نقص ذلك من ملكه شئ ، ولو أن الانسان أتى ربه بقراب الارض خطايا ثم لقيه مؤمنا نائيا لاتاه بقرابها مغفرة .

ومن احاديث العفو هذه قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال :

« اذنب عبد ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال الله عز وجل : اذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، وياخذ بالذنب ، ثم عاد فاذنب فقال : اى رب اغفر لى ذنبى ، فقال الله تعالى : اذنب عبدى ذنبا ، وعلم أن له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب ثم عاد فاذنب ، فقال : يارب اغفر لى فقال الله تعالى : اذنب عبدى ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب . أعمل ماأشئت فقد غفرت لك) .

ليس المقصود من هذا الحديث قطعا - تيسير المعصية ، ولا الاغراء بالخطيئة ، ولا التهوين من شأن الجريمة ولا إلغاء قانون الجزاء والعمل ، فان الله سبحانه لا يامر

بالفحشاء ، ولا يظلم الناس مثقال ذرة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » و « كل امرئ بما كسب رهين » .

والحديث يشير الى نوع خاص من المؤمنين الذين يلومون بالمعصية ، فيخجلون فوراً من سقطتهم ويلتمسون فوراً من الله أن يقبلهم من عثرتهم ، ويحسسون بالضيق الشديد عندما تنزل اقدامهم ، فيسرعون الى الله بالانابة والعتاب ، فدائرة عفو الله تحضن أولئك الذين اخلدوا الى الأرض فى لحظة نسيان أو جهالة ، وطبيعة الانسان الذى يمتزج فيها الخير والشر ، ويلتقى فى ساحتها الملك والشيطان تسمح بهذه الهفوات والزلات ، والايمان لا يقتضى المعصية (هو اعلم بكم اذ انشاكم من الأرض) .

ولا بد من أن ينزع المرء مرة الى الحما المسنون ضربة لازب ففهم هذا الحديث ، ونقل هذا الفهم للناس على انه استهانة بالمخالفات واستباحة للمحرمات ، فهم معوج لا يتفق مع الآيات والاحاديث التى تنشع الرهبة من الذنوب والآثام « أن العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تملو قلبه ، وهو الران الذى قال الله فيه : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا أنهم عن ربهم يومئذ لجوبون . ثم أنهم لصالوا الجحيم » .

ان استمالة العامة بهذه الشروح

المبتوتة الصلة بمسئولية الانسان عن كل ما يصدر منه كما هو قانون العدل الالهى — تجعلهم لا يأخذون السدين والتكاليف مأخذ الجد ، فيقصرون فى الواجبات ، وينهاونون فى الحقوق اعتمادا على امانى خادعة كاذبة : « ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » .

٢ — احاديث الزهد :

وفى مقام تذكير الذين شغلتهم الدنيا عن القيام بالواجبات والنهوض بالمسئوليات ، وردت احاديث صحيحة كثيرة فى التزهيد فيها والعزوف عن شهواتها ومتعها ، وقد شرحتها غير الفاهمين لطبيعة الاسلام ، وغير العارفين برسالة هذه الامة شرحا يعزل المسلمين عن الحياة ، ويأسرهم فى المساجد ، وينفرهم من العمل حتى يدعوا ميادين الرقى والتطور لمخالفهم فى الدين ، ومن هذه الاحاديث التى ظلمها هؤلاء ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من باب العالية ، والناس كنفية غمر بجدى اسك (صغير الانثى او مقطوعها) ميت ، فتناوله ، فاخذ باذنه ، ثم قال : اتحبون انه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه اسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا اهنون على الله من هذا عليكم » .

ان هذا الحديث وغيره مما ورد

فى هذا الباب لا يقصد به التزهيد فى عمارة الارض ولا تجميد الفكر الاسلامى عن استكناه أسرار الكون ، ولا تقييد تحرك المسلم عن التسابق والتنافس فى تحصيل الغنى والاستمتاع بطيبات ما احل الله من الرزق ، والامساك بزمام الحضارة . ان من الاحاديث النبوية احاديث ادوية واشفية ، ولكل داء دواء ، ولكل مرض طب وعلاج وما يصلح من الدواء لمرض لا يصلح الآخر ، والأمراض الخلقية والاجتماعية بمثابة الأمراض العضوية ، فلا يقال للبخل امسك عليك مالك ، كما لا يقال للمائل المعدم اد الزكاة ، ولا يقال للمترف ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ، كما لا يحذر المسكين من الترف والبذخ .

ان الذين يفسرون هذه الاحاديث على انها تناول الجاف من الطعام وليس الخشن من الثياب ، والرضا بالفقر والمسغبة ، بعيدون كل البعد عن المنهج الذى رسمه الاسلام للحياة وقد اصاب المسلمين من هذا الفهم الخاطيء ضرر كبير .

ان الزهد فى الدنيا ليس دعوة الى الراحة والفراغ من العمل الدنيوى الجاد ، بل هو دعوة صريحة الى اقتحام الاهوال وركوب المخاطر ، والتعرض للتحوف والتضحية فى سبيل الله لان الدنيا اهنون من ان يتشبث بها مسلم تتبثا يفقده كرامته او يخل بمرؤته او يقعده عن خدمة دينه وامته .

الأزمات ، وأصابها من نيران فتن القتال على الحكم والسلطان ما جعلها مغنما لإعدائها .

وليس في هذا الحديث دعوة للاستسلام للكفر ، ولا للتكوص عن الجهاد ، ولا للسكوت عن الظالم كما يرى بعض المتأولين .

إن الذين يدعون إلى العزلة عن المشاركة في الحياة العامة ، ويروجون للسكوت عن المنكرات بدعوى فساد الزمان ، ويحرضون على الانسحاب من المعركة المستمرة بين الحق والباطل استنادا إلى التأويل الموهج والفهم الخاطئ لسنة رسول الله — هؤلاء ليسوا أعلم بشرح الأحاديث وفهمها من سفيان الثوري وسعيد ابن المسيب والامام أحمد وابن تيمية والمز بن عبد السلام وغيرهم ممن تصدوا للظالمين ينكرون عليهم ، ويصرخون في وجوههم ، وينقلون الناس من عسفهم وبغيهم .

وليست هذه هي كل الأحاديث التي يخطب بعض الناس فيها على غير هدى وبصيرة ، بل هناك غيرها كالأحاديث الواردة في التوكل والأحاديث الروية في القدر ، وكم جر سوء الفهم على المسلمين من تأخر وتواكل وذلل واستسلام استغله أعداء الإسلام فغشطوا وتقدموا ، واحتلوا وتمكنوا .. على الذين يتصدرون لتربية الأمة أن يكونوا أهلا لتحمل هذه المسؤولية علما وفقها والله ولي التوفيق .

مدير إدارة الدعوة والإرشاد
رضوان البيلي

ومن الأحاديث التي أسيء فهمها ، وتأولها نفر من الناس على غير وجهها الحق الأحاديث التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن ، ومنها هذا الحديث الذي رواه مسلم عن أبي بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتن إلا ثم تكون فتن ، : القاعد فيها خير من الماشي فيها ، والماشي فيها خير من الساعي إليها ، إلا فإذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له أبل فليحلق بإبله ، ومن كانت له غنم فليحلق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليحلق بأرضه » ..

قال ، فقال رجل : يا رسول الله : أرايت من لم تكن له أبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج أن استطاع النجاء .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت ..

إن المعنى الذي ينبغي أن يحمل عليه هذا الحديث هو حصر الفتنة المسلحة التي تقع بين المسلمين في نطاق ضيق حتى يمكن إخمادها والقضاء عليها لأن الاشتراك فيها يؤدي إلى امتداد شرارها واتساع نطاقها ، وفي هذا تمزيق لشمس الأمة وأصاية أهل الحق بأضرار جسيمة وعندئذ يمكن لأعداء المسلمين القضاء عليهم ، في يسر وسهولة ، وقد تعرضت الأمة الإسلامية في عصور التاريخ المختلفة لمثل هذه

ذِكْرُ المَوْلَدِ النَّبَوِيِّ

خَاتَمُ النَّبِيِّينَ

واطمئنن .
ولا ريب أن اختياره عليه السلام من العرب مع اختيارهم جندا له وحيلة لرسالته ، إنما هو فضل لهم لا يجحده إلا جاحد وإن جهلناه نحن الأخلاف الذين ورثوا عن أسلافهم أكرم تراث فأسأعوا فيما ورثوا الصنيع .
والشرف الرفيع حين تتداوله أيدي الجهالات والضلالات ، يوشك أن يضيع ، ليكون به الذين ضاعوا وأضاعوا سببة للأولين ومعتبرا للآخرين .
فأما أن الله تعالى قد اختار محمدا خاتما للنبوات ومنتها للرسالات فذلك حيث يقول « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

هداية الدين لاغنى عنها للناس مهما بلغوا من الرقي والتقدم في مدارج الحياة ، وقد تفضل الله تعالى على خلقه تفضل المنعم الكريم بنعم لا سبيل إلى احصائها وتبيان وجوه الخير فيها ، وفي ذروتها أنه أرسل اليهم من صفوة خلقه رسلا مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى الله ويهدونهم إلى صراطه المستقيم الذي يظفر من سار فيه بخيرى الدنيا والآخرة .
ومحمد عبد الله ورسوله هو خاتم النبيين ، وقد اصطفاه الله من الأمة العربية هاديا من ضلالة ، ومنقذا من جهالة ، ومخرجا من ظلمة إلى نور ، ومن باطل إلى حق ، ومن شقاء إلى سعادة ، ومن حيرة وقلق إلى سكينه

للشيخ أحمد حسن الباقوري

المسلمون

وليس ينبغي لنصف أن يسارع إلى الحكم على هذا القول بأنه اتجاه قومي يتعصب للعروبة ويعتز بالعرب في حين أن الناس أحوج ما كانوا إلى أطراح النعرات القومية واعتناق المعاني البعيدة عن الاعتزاز بالأجناس والعروق ، وفي حين أن الناس أيضا يعلمون - أو ينبغي أن يعلموا - أن الإسلام دين لا يضيّق بشيء كما يضيّق بالدعوات العنصرية ولا يدعو إلى شيء كما يدعو إلى اعتناق المعنى الإنساني الشامل الذي تختفي فيه معالم العصبية لأننا في اعتباره ضلال عن سواء السبيل . وذلك أن هناك فرقا بين العصبية التي هي طغيان واستطالة على الناس ، وبين

النبيين » ، « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه » ، وأما أنه - سبحانه - قد اختار العرب لشرف الرسالة الإسلامية الخاتمة ، يحملونها إلى العالمين فذلك قوله « لقد أنزلنا إليك كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ، وقوله خطابا له عليه السلام « فاستبسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم وأنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ، فالذكر الشرف الذي سوف تسأل عنه الأمة العربية يوم القيامة ، وعن قيامها بحقه ، وعن تعظيمها للرسالة التي نيطت بها ، وعن شكرها ربها على أن رزقها آياه وخصها به بين العالمين .

سلمان رضى الله عنه : يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، فيقول له : وكيف أبغضك وبك هذان الله ؟ فيقول له النبى تبغض العرب فتبغضنى .

كان محمد يحب قومه ، ويحب أن يحب الناس قومه ، وهذا غاية ما تبلغه النفس من القومية فى شعورها وعاطفتها ، وكان حبه هذا هو الحب الذى يعمل ولا يتنصع بأن يشعر وينطوى على شعوره ثم يستطيل على الناس فى ظل من هذا الشعور بتقير عمل ، أو يعمل يناقض الاعتزاز الكريم فهذا الحب هو الذى جبع شمل العرب وألف بين قلوبهم وأخرج من شتات

قبائلهم أمة مهيبة عزيزة الجانبا رحيبة أفاق الفكر ، تتلقى عنها الأمم ذوات الحضارات العريقة رسالة الهداية باسم الله رب العرب والعجم والترك والروم ، رب العالمين ، رب المشارق والمغرب ، فلا فضل لعربى على عربى ولا لأحر على أسود ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى ..

تلك هى المعجزة الالهية لمن يشاء أن يتدبر المعجزات فى حياة محمد رسول الله ، وهى أن تجيء دعوة الأمم الى المساواة ، وإلى فضل العمل ، وإلى كرامة القومية فى غير مساءة الى أحد ، من ناشئ بين قوم بلغوا بالعصبية غايتها من الانفئة لها والاعتداد بها والغيرة عليها .

ولو أنه صلى الله عليه نشأ فى غير العرب ، فى غير هذه الأمة التى لا ترى سوى القبيلة ، وفى غير هذا الجيل من الأعراء المتكبرين باللغة وبالسلف وبالمنعة ، لكانت رسالته بالمساواة بين آدم وحواء رسالة من معدنها لا تستغرب من صاحبها ولا من

العصبية التى هى اعتزاز بغضائل القوم ، تمتد بها السبل الى إقامة معالم العدل والحق والخير بين الناس . ومصدق ذلك ما يقوله رسول الله لسائل سألته عن العصبية ما هى ؟ فقال له النبى « العصبية أن تعين قومك على الظلم وأن تنصر أخاك ظالما ومظلوما » ، فإذا خلت العصبية عن هذه الحدود الفاصلة بين الخير والشر والنفع والضر ، فإنها عندئذ تصبح عصبية حميدة يدعى اليها ويعتز بها ويحرص عليها على ما يقول النبى نفسه « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » .

قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام استقبلت الانسانية وليدا مبارك الثمرات ميمون الغدوات والروحوات ، لم يكن أحد يظن ، لا من بيته ولا من قبلته ، ولا من أمته ولا من المجاورين لأمته من أصحاب الحضارات العظيمة أن سيكون له شأن ، وأنه سوف يكون اماما للقومية فى مثلها العليا ، ورسولا للانسانية كلها فى قدوتها الحسنى .

ذلك هو محمد بن عبد الله النبى العربى رسول رب العالمين الى جميع خلقه من عرب وعجم ، ومن بيض وسود ، ومن سادة ومستعبدين ، وهو — مع كونه نبيا عربيا مبينا ورسولا من لدن رب العالمين الى جميع خلقه — كان راضيا بعروبته معتزا بها ، يحمد الله لأنه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على متربصين بهم طاغين على حوزتهم وقد استباحوا ما استباحوا من جوارهم ، فكان لسوات الله عليه يحب قومه ، ولا يحب أحد يبغض قومه ، فلا يكره العرب الا منافق ، ولا يكون مخلصا فى عقيدته من لا يخلص فى رعايتهم وعرغان حقهم ، فيقول لصفية ومشير

أن يستقوا حديثهم من منابع القرآن العظيم ، لكي يتبها لهم الربط الوثيق بين المنهاج وبين القدوة فى هذا المنهاج ، لأن القرآن مع كونه منهاجا اصلاحيا كاملا لم يبلغ غايته ، ولن يبلغ غايته من الاصلاح المنشود الا بالقدوة الصالحة ، ويكذب الذين يظنون أن المنهاج بغير قدوة يستطيع أن يفعل شيئا ، ويصدق الذين يقولون إن القدوة ولو بغير منهاج اقدر على الاصلاح وايسر سبيلا اليه .

وفى القرآن والخبر يستطيع المتأمل أن يتبها عليه السلام بشرا رضى الخلق ثقل الاعباء داما الناس الى الاستقامة على الطريق بعمله أكثر من دعوته اياهم الى ذلك بقوله ، الى أنه عليه السلام حبيب الى قلوبهم مطاع فيهم فى المنشط والمكره وفيها يأخذون وما يدعون .

وأول ما يسترعى الانتباه من حديث القرآن عن رسول الله ، تلك الآيات التى وصفته بأنه بشر ، يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويرضى ويغضب ويفرح ويحزن ثم يحيا ويموت « قل إنما أنا بشر مذكى يوحى الى » ، « فاصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم » ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » .

فهذه الآيات وامثالها حين تصفه بالبشرية ، تقارن فى القرآن آيات أخر تصفه بالعبودية لله رب العالمين « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » ، « سبحان الذى أسرى بعبده » ، « ليس الله بكاف عبده » وهذه الآيات وتلك الآيات — فى وصفها اياه عليه السلام بالبشرية والعبودية — تستهدف أمرين :

قومه ، ولكن محمدا كان فى الذروة من مخار النسب ، وكان نسبه العريق ملتقى الانساب بين أقسوى الأقوياء وأغلب الغلاب وأشرف البيوتات ، يجتمع معه فى مخر قبائل قيس كلها ، ويجتمع معه فى نزار قبائل بكر وتغلب ، ويجتمع معه فى عدنان من لم يجتمع من هؤلاء وهم جميعا فى الصفوة من ذوى العصية الاعزاء فإذا كان فى مكة فهو فى بلد الكعبة التى كان يهدى اليها العرب أمز ما يملكون وأنفس ما يقتنون ، والتى أهدى اليها كسرى — فيها يذكر الامام السهلى — الغزالين من الذهب اللذين كشف عنهما حفر عبد المطلب بئر زمزم ، وإذا كان عليه السلام فى قريش فهو فى بنى عبد مناف ، وإذا كان فى بنى عبد مناف فهو فى بنى هاشم ، وإذا كان فى بنى هاشم فهو ابن عبد المطلب ، خلاصة من خلاصة من خلاصة ، كما يقول الأثر الشريف « ان الله اصطفى بنى اسماعيل كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ، فانا خيار من خيار من خيار من خيار » .

ان محمدا أكبر من أن تجلى كرائم صفاته كلمات ، كما أن دعوته أجل وأعظم من أن تشرح مقاصدها وأهدأها أقلام مجلى فى يد أذهان مجهودة تكتب الى قراء رهقهم تكاليف الحياة ، وأحاطت بهم خبايا الدعايات الكواذب التى تتوق عن التأمل الصحيح والاستيعاب الواعى لفضائل المذاهب الاصلاحية والعائمين عليها وغضائع المذاهب الهدامة والمتعصبين لها .

والذين يطيب لهم أن ينتفعوا بالحديث عنه صلوات الله عليه لا بد

ما يرويه الثقات من اختيار زيد بن حارثة البقاء معه عبداً على اللحق بأبيه وقومه حراً ، في حديث طويل يرويه الثقات من المحققين وفيه يستبين قول الله تعالى « ادعوههم لأبائهم هو أقمسط عند الله » فإن هذه الآية نزلت بسبب تبني محمد زيدا وأشهاده قريشاً على أنه ابنه وأنهما يتوارثان كما يرث المولد والده والوالد ولده ، وكان ذلك عرفاناً من محمد لفضل زيد وتقديراً كريماً لموقفه معه حين آثره على أبيه وآثر بيته على بيت قومه .

وأما ثقل أعبائه ففي قول الله تعالى تبين له « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً » فقد فرض الله عليه قيام الليل ، وفرض على نسائه تبعاً له ما لم يفرضه على سائر نساء المسلمين فضايعاً لهن العقوبة نسي الإساءة والمثوبة في الإحسان .

وأما أنه كان قدوة للمؤمنين يدعوهم إلى الخير بعمله أكثر مما يدعوهم إليه بقوله فما نرى أحداً يخفى عليه أن يجد لذلك مثلاً لا تخضع لحرص ولا تنقاد لبیان ، وآية ذلك أنه يدعو الناس إلى التقشف وهو سيد المتقشفين حتى تقول عائشة « لقد كان يمضي الشهر والشهران دون أن توفد في أبيات النبي نار فليس له ولا لأهله من طعام إلا التمر والماء » .

ويذكر الثقات أن بعض أصحابه — بعد أن فتح الله عليهم الدنيا — قدم بين يديه طعاماً طيباً فلما هم يضع يده ليأكل رآه الناس يبكي بدل أن يطعم فمسأله سائل ما يبكيك فقال : أبكي لأن رسول الله فارق الدنيا ولم يشيع من خبز السمير وهانذا كما ترائي وبين يدي أطيب الطعام .

أحدهما تبين الحق وأخذ الطريق على المعاندين الذين يطلبون إليه ما ليس في طاقة البشر ، وثانيهما تطهيره من الغلاة الذين قد ينساقون — خبثاً أو جهلاً — إلى السهو به فوق البشر فيضمونه في منازل الألوهية . وعجب في هذا المعنى أن ترى من أمته من يرفع بعض أتباعه إلى منزلة الإله مع أنه صلوات الله عليه ظل على مر القرون في منزلته من كونه بشراً عبداً لخالق السموات والأرض ، فلم يتحدث عنه تاريخ إلا بأنه عبد الله ورسوله وغضى رحمته للعالمين ، وبرد ذلك عند التحقيق إلى هذه الآيات التي أدامت على الأسماع وصفه بالعبودية حتى صرف ذلك طلاب الغلو عن الغلو فيه ، وحتى وقفوا به عند وصف القرآن إياه .

ولئن كانت هذه الآيات قد أدارت على الأسماع وصفه بالبشرية فصال ذلك بين الغلاة وبين رُغمهم إياه إلى منزلة الألوهية ، لقد كانت هذه الآيات نفسها مجالاً لعناد معاند وتكذيب مكذب « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب السذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً » .

وأما أخلاقه عليه السلام فحسبك منها في القرآن قول الله « وإنك لعلى خلق عظيم » ، « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وخلقه العظيم صلوات الله عليه — بكل ما ينطوي عليه من مفردات الصفات الكريمة — لم يتهياً له بعد الرسالة فحسب ، ولكنه كان خلقاً ملازماً له من قبل ومن بعد على ما يعرف ذلك كل من قرأ ما كتبه عنه الكاتبون عرباً وعجماً وأصدقاء وأعداء ، ومن ذلك

وأما حب الناس له وإثارهم طاعته
على كل أثر ، فأمر يعرفه المتدبرون
تدبر الفاتحين المنصفين .

كان بعض أصحابه - غيا يروى
الثقات من أهل الحديث - يؤم
المسجد ، وفيها هو في الطريق إليه
سمع صوت النبي يقول اجلسوا أيها
الناس ، فحين انتهى صوته عليه
السلام إلى مسمع صاحبه جلس حيث
هو في السوق أو على باب المسجد ،
لم يزد خطوة واحدة بعد أن انتهى إلى
بسمه الصوت الشريف ، ولم يزل
كذلك حتى خرج النبي ورآه على
هذه الحال فسأله : ما أجلسك هذا
المجلس ؟ فقال يا رسول الله اني
سمعتك تقول اجلسوا فجلست حيث
تراني ، فقال له النبي « زادك الله
طاعة » ..

فهكذا كان أصحابه يحبونه حباً
يدعو إلى القدوة به ، وهو الحب

الذي يمضي بسالكه إلى مرضاة الله
سعادة في الدنيا ونعيمها يوم يقوم
الأشهداد ، وليس حب المجاذيب
النافعين الذين يشتركون بآيات الله
ثمناً قليلاً فيقودهم هذا الحب المصنوع
إلى سخرية السآخرين في الدنيا وإلى
مساخط رب العالمين يوم لا ينفع
مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم .

أسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه
حباً يدعو إلى القدوة به والمسارة
إلى طاعته ، وأن يرزق المؤمنين به
إيماناً يدعوهم إلى صيانة تراثه من
عبث العابثين وتآمر المتآمرين وتربص
المقريصين ، ولئن فعل - وله الفضل
والنعمه - لقد أدركتنا رحمته فخرجنا
بها من ظلمات تلف الماضي وتحجب
المستقبل وتنذر بأكبر الأضرار واثد
الآخطار .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

السلوك

الأحكام

للاستاذ الدكتور : محمد البهي

* هو محمد بن عبد الله عليه السلام .
 * هو ذلك الإنسان الذي تخلص منذ طفولته من تأثير الشهوة والهوى على تصرفاته . وما يروى عن أنس من أنه قد شق صدره في طفولته وأخرجت منه المصفة السيئة ليس إلا تعبيراً حسيّاً عن هذا التخلص ، أو بالأحرى ليس إلا تعبيراً عن مدى تجنبه منذ الصغر وقدرته على الحركة لما يؤذى الذات أو يؤذى الآخرين ، وعن التزامه بالسلوك الإنساني الكريم في تصرفاته وفي مواقفه .
 * هو الظاهر ، والأمين : لم يفعل إلا ما هو مقبول عند الناس . ولم ينقل أو يتحدث إلا من واقع ملموس .
 * *

* كان معداً بصفاته الإنسانية الكريمة لأن يتلقى رسالة من الله للبشر ، تجمعهم على الكرامة الإنسانية التي تتبطل في الإيثار بالله وحده ، وتهديهم إلى الصراط السوي ، وهو صراط العدل والإحسان .
 ولكنه لم يكن معداً لأن ينقل عن الآخرين من أهل الكتاب ممن أصابوا طرغاً من مسالات الرسل السابقين . إذ كان أمياً : لا يستطيع الاطلاع

على ما لديهم بالقراءة ، كما لا يستطيع تسجيله بالكتابة ، فضلا عن اختلاف اللسان بينه وبينهم : « قل نزل به روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه (أى يحيدون عنه ويكفرون به) أعجى ، وهذا لسان عربى مبين (١) » .

✽ فإذا أضيف الى كونه عليه السلام أميا : ان القرآن « موضوعى » يستهدف البشرية وحدها وتخليصها من آثار الشهوة والحزبية ، وأضرار الشمعوبية والعنصرية . . يستهدف نقل المجتمع الانسانى من بدو السلوك ، وقبيلية التصرف والموقف . . الى مجتمع ذى حضارة ترى فيها خصائص الانسان فى بناء العلاقات ومباشرة التصرفات . . اذا أضيفت الى أميته : « موضوعية » رسالته ، فان صدقه فى هذه الرسالة لا يحسد عنه الا جرىء فى الابتكار ، أو واقع تحت تأثير دفع العادة أو جمود الذهن وحركة التفكير .

وموضوعية القرآن تتجلى :

اولا : فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والمعروف هو ما شاع فى عرف الناس قبوله واستحسانه . والمنكر هو ما راج لديهم استنكاره ورفضه . وما كان من المعروف أو المنكر على هذا النحو لا يختلف فيه فريق من الناس مع فريق آخر منهم . وبالتالي لا يمثل حزبية ولا غرضا خاصا . وانما يعبر تعبيراً واضحاً عن « موضوعية » .

وثانياً : فى تحليل الطيبات فيما يستمتع به الناس : فى الأكل والشرب ، وفى العلاقة بين الرجل والمرأة . وفى تحريم الخبائث وتجنب الناس ايها : فيما تشتهي النفس كاكل الخنزير أو الميتة ، وكشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وكالربا فى المعاملات المالية ، والزنا فى علاقة الذكر بالأنثى .

والطيبات هى ما تنطوى على المنفعة التى لا يصحبها ضرر للذات أو للغير . والخبائث هى ما يؤدى تناولها أو مباشرتها الى ضرر يعود على الذات أو على الغير ، أو عليهما معا . وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث فى القرآن لا يستند الى التأثير بعادة فى مجتمع ما . وانما يستند الى « موضوعية » فوق كل الفروق فى العادات والتقاليد فى المجتمعات البشرية وتستهدف الصالح العام وحده لكل انسان .

وثالثا : تتجلى هذه الموضوعية للقرآن فى تحرير المجتمعات مما وراء ذلك من قيود على الاستمتاع بمتع الحياة المادية ، أو على المعاملات أو العلاقات . . تلك القيود التى وضعها تقاليد معينة أو أعراف خاصة . وعلى وجه معين تحريرها من عبادة الاصنام وعبادة الانسان للانسان ، والاعتقاد فى الخرافات والاهام .

وهذا كله بالإضافة الى أداء عبادة المال ، ووجوب مباشرة العدل ، والسعى الى سلوك طريق الاحسان : « ورحمتى وسعت كل شئ فساكنتها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ،

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٢) .

ان (امية) الرسول عليه السلام مع (موضوعية) رسالته ، هي الحجة القاطعة اذن في صدقه في الرسالة .

وموضوعية الرسالة يبعدها عن أن تكون طريقا للانتقام ، أو الانقلاب ، كما يبعد أن تكون الدعوة اليها لاثارة الاحتاد ، وهدم أوامر الاخوة البشرية بين الافراد جميعا .

موضوعية الرسالة تجعلها تسلك مسلك التوجيه ، وتخطاطب منطق الانسان ، دون شهوة المدة أو الفرج ، وتحثكم الى الارادة الحرة فيه . ولذا : ما يعرضه القرآن من امارات محسوسة في الكون تشير

الى وحدة الله في الوجود .. يقرها كل صاحب منطق سليم ، ويستخلص منها الدلائل كل من لا يعترض تفكيره تمسك بعادة أو تقليد خاطيء . وعلى نحو هذه الامارات في وضوح استخلاص نتائجها منها ما يضربه من امثال .

فهى توجه الى العقل البشرى وحده . نقف قليلا عند قوله تعالى : « وضرب الله مثلا رجلين : احدهما ابكم لا يقدر على شئ ، وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » (٣) .. اذ من النظر في هذا المثل يصل العقل الى التمييز

والمفارقة بين شخصين لا ينبغي أن يكونا في مستوى واحد . اذ أحدهما فاعل الارادة واستقلال الذات ، بينما الثانى يملك زمام امر نفسه ، كما يملك شأن العدل بينه وغيره . ومن وصول العقل الى هذا التمييز بين موجودين

في عالم الوجود يدرك : أن هذا العالم لا يستطيع أن يوجد الا من كان كامل القدرة على الاشياء والمتباينات . وكامل القدرة يجب أن يكون واحدا ، ويستحيل أن يكون متعددا .

وبقدر ما تخطاطب الرسالة الموضوعية لدعوة القرآن العقل البشرى ، بقدر ما تعتمد كذلك على الارادة الحرة والمشيئة المطلقة في الانسان . اى تعتمد على الائتاع الذاتى بها : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق مسن ربكم ، فمن اهتدى فاننا يهتدى لنفسه ، ومن ضل فاننا يضل عليها ، وما انا عليكم بوكيل » (٤) .

فالحق — وهو دعوة القرآن — معروض فقط وغير مفروض بالقدرة المادية أو بالحكم في مصائر الافراد وازراقتهم ، والانسان له أن يهتدى فيؤمن بها ، أو ينحرف ويضل فيكفر بها . والقائم بأمر هذه الدعوة أن هو الا مبلغ ومعلن لها .. ان هو الا موضع بعيد في توضيحه كل البعد عن أن تكون له ولاية أو سلطة على من يدعوهم .

ولذا اذا كان موضوع الدعوة القرآنية انسانيا من حيث المبادئ والقيم العليا التى انطوت عليها .. فأسلوبها انسانى كذلك ، من حيث : بعده عن الاكراه ، ومن حيث : اتجاهه المباشر الى عقل الانسان وحده .

وبانسانية موضوع الدعوة ، وبانسانية أسلوبها مع ذلك : تتسوم رسالة الرسول الامى عليه السلام للانسانية حضارة في مستوى رفيع ، تعجز البشرية حتى الآن عن أن تقدم لونا من الحضارة يخلو من اثر الحزبية

ومن وسيلة العنف والاكراه . والقرن العشرون بما له من مخر الإبداع في بحوث الفضاء والآلية ، والاعتزاز بالتوسع في التطبيق التكنولوجى .. فان ما استحدثته من وسائل التدبير الرهيبة يجعل من بعض الشعوب أمسا

كبرى ذات نفوذ على حساب ماعداها ، ومن البعض الآخر أمما صفرى تدور فى ملك غيرها ولسيادتها ومصالحها الذاتية . كما ان ما يتصارع فيه من ايدىولوجيات لا تعرف للقيم الانسانية العليا وزنا وانما تجد نظم حكم معينة والقوة المادية وحدها . كما لا تعبر حرية الانسان اهتياها فى قبوله لما يشاء . بل تكرهه اكراها على قبول راي معين بطريق مباشر أو غير مباشر . ولذا اذا كان القرن العشرون قرن الحضارة العلمية الصناعية فانه قرن مقلس بالنسبة للحضارة الانسانية الخالصة .

ومحمد الامى عليه الصلاة والسلام فى بلوغه هذا المستوى الرفيع المعجز فى موضوع الرسالة وفى أسلوب الدعوة اليها ، انما كان لسه ذلك بنفـضل اصطفائه من قبل الله لهداية البشرية . ولو لم يكن بمصطفى ومختارا من الله لوجد قصصور فى موضوع الرسالة — أو لكان قد التجأ ولو مرة الى الهوى أو الاكراه فى أسلوبها : « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا (اى تناقض) كثيرا » (ه) .

لم يفرض عليه السلام دعوته الى الحق على احد ، عندما كان يستطيع أن يفرضها بالقوة على المكين يوم أن دخل مكة فاتحا وكان له النصر المبين اذ ذاك وانما بقى ملتزما اساس الأسلوب فى الدعوة اليها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الفى » .

وأسلوب دعوته لذلك لم يكن أسلوب ثورة ، وانما كان أسلوب توجيه واقتناع .

ولم يكن أسلوب انقلاب ، بل كان أسلوب تطور .

فالثورة والانقلاب — مع فرق بينهما — وسيلة لتمكين صاحب الفكرة من السلطة أولا عن طريق القوة المادية . ثم بعد أن يتمكن يفرض دعوته بكل الوسائل التى تصم الأذان بها ، وتعمى الأبصار عن غيرها ، وتغلق القلوب والعقول دون قبول ما سواها .

ثم شتان بعد ذلك بين موضوع دعوته عليه السلام وموضوع ما يسمى بالثورة أو الانقلاب فى عصر العلم والتكنولوجيا . فبينما الحق للبشرية كافة يتجلى فيها جاء به وحى القرآن . . اذا بالهوى والشهوة يسيطران على خطوط الايدىولوجية الثورية وعلى وسائل نشرها .

ان الثورة أو الانقلاب من أجل السلطة فقط ، بينما دعوة الحق التى جاء بها محمد الامى عليه السلام هى لاصلاح البشرية ، وتمكين الخصائص الانسانية فى العلاقات بين أفرادها . ولم يكن فى تصوره عليه السلام عندما قام بدعوته مبشرا ونذيرا وهاديا الى صراط الله : ان ينقض على عرش ملك أو نظام حكم ، ليرث الحكم وجاهه ، أو ان يكون ثريا يحيا حياة الترف عن طريق ثرائه الطارئ . وانما بقى فى نواضعه فى أسلوب الحياة قبل الدعوة ، ولم يتغير بعد ان دان له النصر ، واصبحت له أمة متماسكة ، وقوة عزيزة الجانب تصد العدوان عن دين الله الذى اجتمع عليه من كانوا أشد فرقة فيها بينهم ، واقترب الى الهاوية بسبب خصومة بعضهم لبعض ، فى لحظة من اللحظات : « واذكروا نعمته الله

عليكم » اذ كنتم اعداء خالف بين قلوبكم فاصبحت بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانتقم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون « (٦) » ..

والاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الأُمى عليه السلام هو قبل كل شيء فى ابراز موضوعية رسالته ، وبانسانية مبادئها واسلوب الاقتناع بها .. هو فى تأكيد اصطفاؤه من الله . لأن القرآن بما له من موضوعية مطلقة يستحيل أن يأتى به شخص — وشخص أُمى — مهما تعاون معه المتعاونون وشهد أزره أصحاب المعرفة والحكماء المخطفون : « قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (فى موضوعيته وتجرده عن الغرض والهوى قبل كل شيء) لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٧) .. هو فى ادراك المسلمين فى حاضرم أنهم باتخاذهم اسلوب العلمانية أو التبعية لايديولوجية اجنبية ، انما يستبدلون السذى هو ادى بالذى هو خير . لانهم عندئذ يأخذون بجملة من المبادئ صاغها الحقد والهوى ، أو صاغتها الانانية ، بدلا من نظام يرى العلاقات الانسانية فى انسانيته ومودتها والاخاء بين افراد الانسان جميعا . وانهم بعد ذلك يسخرهم الشيطان فى سبيل الطغيان وحده ..

(١) التهل : ١٠٢/١٠٢ ..

(٢) الامراف : ١٥٦/١٥٧ ..

(٣) التهل : ٧٦ ..

(٤) يونس : ١٠٨ ..

(٥) النساء : ٨٢ ..

(٦) آل عمران : ١٠٣ ..

(٧) الاسراء : ٨٨ ..

من مَدِي السَّنة

للككتور على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ فى جامعة الكويت

عن الصعبي (١) بن حثامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا حمى (٢). الا لله ولرسوله » .

رواه البخارى

فقد روى أن هذا القول الشريف موجه أصالة الى شرفاء الجاهلية الذين كانوا اذا نزل أحدهم أرضاً استعدى كلنا فحمى مدى عوائه لا يشركه فيه غيره ، وهو يشارك القوم فى سائر ما يرعون فيه ، فكان هذا التوجيه نهياً عن فعل مبعوث ، ضرره يقع على الاكثرين ، ويعود فضله على آحاد . ويستتر واجب التطبيق فى كل عصر ومصر حتى ينفخ فى الصور لا يقبل نقداً ولا تعديلاً ، لأن مصدره من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ومبلغه وينفذه المجتبى المختار . والاسلام فى حاجة ماسة الى ادامة الدعوة لمبادئه القويمة ، حتى تثبت فى الارض وتستقر فى النفوس ، وتصبح واقعاً عملياً مطبقاً فى أرضه ، فلا بد من تبصير أممه وشعوبه بهناجته الصريحة السليمة البينة ،

كل عاقل يجب أن يستكثر من الخير ، وكل قوى يريد أن يبسط سلطانه على ما تؤمله له قوته ، ولا يخلو الامر فى كل حال من ظلم يحيق بآخرين ، وتعد على مستضعفين ، وقد مسر ويمر بالحياة قاهرون ومقهورون ، وغالبون ومتغلبون ، ولو أن البشر تركوا وشأنهم دون قيادة حازمة تضع كل شىء فى موضعه ، وتعمل على ابطال الحقوق لاصحابها لصارت أوضاع الناس غوضى حيث لا هادى ولا رائد ، ولا حامى ولا ذائد ، وفى هذا الحديث الشريف يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متزعمى الجاهلية الى ربهم القوى ويمضى بهم الى رحساب رسوله المصطفى ويعلمهم أن كل شىء لله وحده ولا يحق لعبد أن يخص نفسه بزايد يتجاوز به حدود رب العالمين ،

واحد وهو : لا ، والف لا ، يقولها التاريخ بملء فيه ، وتتردد اصداؤها في الدنيا بقوة قوية جارفة للباطل ، ماحقة للكفر ، وكيف يطلب دنيا ؟ ورب الدنيا يقول له في محكم كتابه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : « وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا » وكيف يطلبها وهو يعلم : أن الدنيا خداعة غدارة ، مأكرة فاجرة ، عزها ذل ، وغناها فقر ، لا بقاء لها ولا استقرار : « لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء » .

نعم : لقد طلبها في حدود أواصر الله تعالى ونواحيه ، واستقر فيها لحظات من عمر الزمان ليعلم البشر أن العاجلة مزرة الأجلة ، وأن هنا سوق للبيع والشراء ، وهناك أحشاء الريح والخسارة ، وقد رحل عنها يوم أطمأن على رسوخ أقدام الدعوة ، وثبات مبادئها ، واستقرار الأمر لخلفائه من بعده .

وكيف يطلب جاها ؟ وجاهه مستبد من رب كل شيء المبدى المعبد الذي أوحى إليه ما أوحى بعدما أطلعه على جلاله وعظمته ربه مسير الملك ، ومقيم الملوك ، ومبيد الظلم والظالمين ، أهلك فرعون وهامان ، وأسرى به في لحظات ، وطاق به الملكوت في لمح البصر : « عليه تشديد القوى » .

ثم مرة فاستقوى . وهو بالأمس الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . . . الآيات من سورة النجم . . . كيف يطلب جاها غير جاه ربه السذى أراه منازل العتاة الجبارين في النار : « إذ الأغلal في أعناقهم والسلاسل يسحبون ، في الأصفاد ثم في النار يسجرون » هناك

التي ترسى أسس العمران القلائم على مجتمع متكاتف متحاب ، متحد مستند ، ولا ينمو ولا يزدهر إلا بدعوة مخلصين مؤمنين بالله وحده وبرسوله الأمين : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ووثقوا بقيوم السموات والأرض ، وعرفوا عن يقين لا يتسرب اليه شك ، ولا يداخله ريب ، أن الله الذي رفع السموات بغير عمد ، وبسط الأرض ودحاها ، ذلك الإله القوى القادر القاهر العظيم ، هو رب محمد النبي العربي الهاشمي القرشي ، سليل أمة شرفت به في دنياها وأخرها ، وقد رعاه في الجاهلية وتعهدده وأدبه فأحسن تاديبه ، وأكرمه إذ حال بينه وبين الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واختاره من بين خلقه أجمعين لحمل الرسالة وأداء الأمانة إلى الناس كافة ، وحفظه بمعانيته من شياطين الجن والانس ، وجعله من أولى العزم ، تحمل الإذى من قومه وصبر عليه ، فقد أودى في سبيل الله فصبر حسبة لله ، التيت عليه الحجارة وبصق على وجهه الشريف ، وجمعت القاذورات على باب داره ، وأخرج من بين أهله وعشيرته ، فما وهن عزمه ، ولا ضعفت أراسته ، ولا أوغر صدره على أحد ولا قسا أبدا حين قدر : ولا تخاذل في القيام بالمهمة التي وكلت إليه ، بل مضى قدما في الدعوة الإلهية وجاهد وجالد وصبر وصابر ، وكان جوابه السدائم للمعتدين ، والمؤذنين والمعوقين جواب الرحيم ، والآخر الكريم ، والرسول الحكيم ، « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . . .

وهنا نتساءل : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد من دعوته مالا ؟ أم هل كان يطلب جاها ؟ أم كان يسعى لدنيا في صورة أخرى ؟ والجواب على هذا التساؤل جواب

يُقال لهم : « ثوبوا مئى سقر » ويتول قاتلهم : « يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عني ماليهه ، هللك عني سلطانيه » فيجاب : « خذوه غفلوه . ثم الحميم صلوه » . الآيات من سورة الحاقة .

وكيف يريد من الدنيا مالا وهو صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه : « أن ربك ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيراً بصيراً » . الآية ٣٠ من سورة الاسراء - ويوقن بغنى وقدره من يقول : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سفقا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون ، وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الزخرف .

هيات هيات ، أن تكون دموه خير الخلق لدنيا أو لجاه أو لمال !! وإنما كان لها وجوها ومبذوها وخيرها ، وأولها ومنتهاها ، هداية الحائرين وإرشاد الضالين ، وإنشاء مجتمع إسلامى قوى قويم مستقيم ، فيه بتعاطف المواطنين ويتراحبون ، يعرفون لربهم حقه ، ولدينهم واجبه ، وينالون من طيبات الدنيا فى غير مخالفة ولا تجاوز لحدود الله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . الآية ٣٢ من سورة الاعراف . دعا سيدى رسول الله الى تكوين أمة سداها ولحمها الايمان بالله ، والتواصى بالخير والرحمة ، أمة تتواصى بالحق والصبر ويعرف أبنائها أن لهم مكانا على الأرض يجب أن يحموه ، وأن يشهروا السلاح فى وجوه أعدائه ، ويؤمنون بأن القوة كل

القوة فى التعاطف الاصيل الذى يحو الفوارق ، ويبيد الفتن التى تنشأ من حقد الفتيير على الغنى ، وما الغنى فى أمة الاسلام الا نائب عن الله فى ماله ، وليس له مما ملك أو مما ملكه الله الا ما أكل ماغنى أو ليس ماغلى ، أو تصدق ماغلى ، وإن يعرفوا تمام المعركة أن من دواى انهيار المجتمعات السعى مهبها بالفساد فمحو من بينهم الساعى بالنميمة المفسد بين الناس بالوقية الخادع الفاش فكل أولئك لهم مكان فى سواء الحميم ، فمجتبع الاسلام الحقيقى يوقن العائشون على أرضه المستقلون بسمائه أنهم كما هم سواسية مئى هوائه وشمسهم ومائه هم كذلك سواء أمام رب الهواء والشمس وخالق الليل والنهار لا فضل لأحدهم على أخيه الا بالتقوى أن أكرمكم عند الله أتقاكم .

لله أنت سيدى رسول الله ، حولت كل شئ الى الأفضل ، فبدلت الظلم عدلا ، والجور انصافا ، والكفر علما ، والظلمة نورا ، والكفر اسلاما وإيمانا ، والتنافر محبة ووئاما ، لقد حولت الحق والمعجبة والجاهلية الجاهل فى بعض أصحابك الى صرامة فى خدمة الدين ، ودفاع فى ايمان وصوفية فى قوة ، وصيرت من تصاب كسعد بن أبى وقاص قائد جيش وقائع ممالك ، وبدلت من خالد ابن الوليد الحرب على الاسلام صديقا مؤمنا سيفا للاسلام مجاهدا فى سبيل الله حتى لقى ربه وهو عنه راضى ، وجعلت من العبد ذى الراى المطروح والقول المتروك وخضعن المهانة وقرين الذل ، فنوانا على الصبر ورمزا للجهد فى سبيل الحق والعقيدة ، وقبل كل أولئك أرىنا كيف يصير الاسلام الرجل صديقا صدوقا ، وحبيا مخلصا ، يفدى صاحبه بنفسه ، ويقدم راضيا روحه فى

سبيله ، وحسبت هذه المعاني في
نماذج كثيرة من أصحابك الأكرمين
على الله وعلى الناس .

هذه التركة التي أرسى قواعدها
سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتي تهيجها في نفوسنا
ذكرى مولده الشريف تحتاج إلى
رجال مؤمنين موقنين بفناء الدنيا
وبقاء الآخرة يعملون لها (أى
للدعوة) ليلا ونهارا حتى تبقى وثبتت
وتطبق ، تريد عاقلا تصاف نفسه
طعام الزائلة ، ويدعو مخلصا لوجه
الله ، يقول مقاتلة نوح لقومه : « ويا
قوم لا أسألكم عليه مالا أن أجري إلا
على الله . . » ومقاتلة هود لعاد :
« يا قوم لا أسألكم عليه أجرا أن
أجري إلا على السذي فطرنى أفلا
تعقلون » وذلك ليتقوا في إخلاصه
ولا يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى
عرضه وخلقه . . التركة تريد رجلا
حازما مجاهدا في سبيل الله يتحمل
المشاق بقوة أولى العزم ، فقد بدأ
الإسلام بالدعوة المسالة إلى الله ،

حملها رجال آمنوا بالله وزادهم
هدى ، وباب العمل مفتوح ، ولكل
مجاله السذي يستطيع فيه خدمة
عقيدته فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم
الأعلنون أن كنتم مؤمنين .

وبعد : فإن الحقبة التي نعيشها
الآن ، تطلب من كل فرد قادر أن
يتحمل المسؤولية كاملة وأن لا يحاول
إلقاء التبعة على غيره ، فالحاجة
داعية إلى تضافر الجهود ، واستغلال
الخيرات ، وإطراح الانانية المقيتة ،
والتجاني عن الراحة والدعة ،
والسير نحو البناء المعمر الشامل ،
كل ذلك مع طاعة الله ، وانتهاج
الطريق الأتوم ، الذي نصل منه إلى
تحرير العدو الكاشع المترص ، وبهذا
يظل الحمى لله ورسوله مهابا
مصونا ، فمن لم يذد عن حوضه
بسلحه يهدم ، ومن لا يحى حماء
يهلك ، ومن ينكس على عقبيه فالنار
مثواه والدمار نهايته ، والحق واضح
أبلج ، والباطل ضعيف لجلج ، والله
مع العاملين ولن يترهم أعمالهم . .

(١) الصعب ، بفتح الصاد وسكون العين المهملتين ، وجثامة ، بفتح الجيم وتشديد
الثلثة ، لئى .

(٢) الحمى - لغة : المحذور ، وفي الاصطلاح الفقهي ، ما يعصى الإمام من الأرض الموات
لرعاة يمينها لهم ، ويمنع سائر الناس من النزول فيها ، ويطلق الحمى أيضا على معارم
الله تبارك وتعالى ، وفي الحديث الشريف ، ألا وإن حمى الله معارمه ، ومن حام حول
الحمى يوشك أن يواقعه . . الخ .

للشيخ : محمد أبو زهرة

١ - « ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ،
إنك انت الوهاب » .

« ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء في
الأرض ولا في السماء » .

ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم : « وهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا
الى صراط الحميد » .

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون الى كتابك الخالد من غير تحريف للقول
عن مواضعه ، واجعلنا من الذين يدعون اليك سبحانه .

ومن ينطبق عليه قولك الحكيم : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله
وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها الا
الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

اما بعد ، فقد قرأت في العدد الخامس بعد الثمانين من مجلة (الوعي
الاسلامى) التى أعرف أنها لا تنشر الا ما يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله تعالى عليه ، قرأت في هذا العدد مقالا مسهبا لاستاذنا على الخفيف ،
قد كتب بعبارات انسانية واضحة ، تنتهى الى ضرورة ان يكون الطلاق بعد
التحاكم أمام القاضي ، وأن من يطلق من غير تحكيم للقضاء يعاقب بالسجن
والغرامة ، وقد ساق البررات لذلك فى نظره .

وكننت أود مع اخوانى أن يبدي هذه المقدمات التى ساقها امام لجنة
الأحوال الشخصية التى قدمت مشروعا سنة ١٩٦٢ ، وكان من أبرز أعضائها
لكى يجنبها الخطأ الذى وقعت فيه وهو منع أن تقع عقوبة على المطلق ، ولقد
قررت ذلك بالإجماع ، ولم يعترض الأستاذ على منع عرض امر الطلاق على
القضاء الا ان يكون بطلب المرأة مما نص عليه القانون فهو قد وافق مع الموافقين
ولم يخالف .

وكننت أود ان يقدم ذلك البيان البليغ لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية
ليهدى المجتمعين الى ما يراه الحق المبين ، ولكنه لم يقدم ، ووافق على ما رآه
اعضاء المؤتمر بالإجماع ، وهو منع وجود عقوبة على المطلق وعدم الحاجة الى
ان يكون تحكيم فى مجلس القضاء .

ولا ندري لماذا لم يقدم ذلك البيان البليغ في الحالين ، ولماذا وافق مع المجتمعين ، لعله كان معهم ، ولما انفرد عنهم رأى ما رأى ، والرجوع الى الحق في زعمه خير من التهادي في الباطل ، وسبحان مقلب القلوب .

٢ - وإذا كان استاذنا لم يقدم ذلك البحث المزين بأحسن الالفاظ في وقت الحاجة اليه ، ووافق على ما اجتمع عليه اخوانه ، فكان معهم ، فانا لا نسال لماذا غير ما اجمع عليه مع اخوانه ، ولكن ندرس البحث في ذاته من غير نظر الى ما احاط به ولا الى وقت تقديمه ، وان كان مؤخرا عن وجوب تقديم ، ولا نلتفت الى ما سبق ، فمسبحان الذي لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يجرى عليه البداء بان يبدو له ما لم يكن في اعتباره ونلاحظ ابتداء على بحثه انه احيانا يقتطع الآيات عما سبقها ، وحيانا يقتطعها عما يليها ، فمثلا يقول : قال تعالى : **« تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »** . والاشارة في تلك الى حدود الله السابقة ، فلم لا يذكرها ؟ اليومهم انها ما يراه هو حدا من حدود الله ؟

ولنتم له الآيات بذكر ما اقتطعه مما قبلها ، حتى صرنا لا نفهم لفظ الاشارة في (تلك حدود الله) يقول تعالى : **« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبمولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . الطلاق مرتان ، فامسك بمرهوف او تسريع باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخاصا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيها افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »** .

انظر قد قطع لفظ الاشارة عن المشار اليه ، فلم تكن الحدود ان تكون ثمة رقابة من القضاء ولكن كانت الحدود لمدة الطلاق ، وحق المطلق في الرجعة وجوازها عند ارادة الإصلاح والفدية في التفريق ان خيف الا يقيما حدود الله . هذه هي الحدود وليس منها وضع الطلاق تحت رقابة القضاء .

وقد ذكر بعض هذه الآيات في مقام آخر ليؤهم فيه شيخنا مساواة الرجل بالمرأة الا في حق القوامة عليها . وهي : **« ولهن مثل الذي عليهن »** والآية لو تأملها شيخنا لوجد انها لا تتعرض لمساواة المرأة بالرجل ، بل هي تدل على تساوي حقوقها مع الواجبات عليها ، فالله تعالى يقول : **« ولهن مثل الذي عليهن »** أي لهن من الحقوق مثل الذي عليهن من واجبات بدليل التعددية في الأول باللام ، التي تفيد الملك ، والثاني بعلى التي تفيد الالتزام ، ولا نحسب ان ذلك كان يخفى على شيخنا صاحب ذلك البحث البليغ لو تأمله ، ولكنه نظر اليه نظرة عابرة ، وظنه يفيد مساواة الرجل بالمرأة وان ذلك مبدا خلقى وشرعى فلا واجب الا وفى مقابله حق ، فاذا كانت المرأة عليها تربية ولدها فانه يقابله حق الحضانه .

والحقوق الشرعية كما يعلم الشيخ هي للتمكن من اداء الواجبات الشرعية والشيخ حفظه الله تعالى يقتطع الآية عما يليها ، ومن ذلك انه يستشهد في الإصلاح فقد نقل قوله تعالى : **« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ، فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير »** واكتفى بهذا القدر ، وما بعده يوضح المعنى أكثر ، ولكنه يريد الوقوف عند ذلك ، وفيما

بعده بيان أن شح النفوس محضر ، وأن العدل النفسى غير ممكن ، وأنه إذا حضر شح النفس بدل السباحة ، والظلم بدل المعدل فالافتراق واجب ، ولنفقرا الآية كاملة ، لا كما اقتطعها شيخنا حفظه الله تعالى :

« وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وإن تحسنوا وتتقوا ، فإن الله كان بما تعملون خبيرا ، وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل . فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا ، وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيما . وإن يفترقا يفتن الله كلا من سعتة وكان الله واسعا حكيما . »

ترك الشيخ حفظه الله تعالى ذلك الجزء الأخير من الآية ، ولا أدري لماذا أهمله ولم يذكره لعله لا يريد أن يغضب أحدا بذكره ، ولعله لا يريد أن يذكر أن فى القرآن استحسانا للطلاق ولو فى بعض الأحوال .

٣ - ولقد استشهد الشيخ حفظه الله بأن عمر رضى الله عنه لما رأى الناس يكترون من الطلاق بلفظ الثلاث أو يكررونه فى العدة جعله ثلاثا ، فقال : روى ابن عباس رضى الله عنه أن الناس يتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا ، فتجاوزوا حدود الله تعالى فيه ، وطلق بعضهم مرتين وثلاثا فى عدة واحدة أو بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ظنا منهم فيما أن الطلاق تصرف وكل لهم أن يستعملوه كما أرادوا فيكون طلاقا معتبرا فى وقوعه ، وفى عدده ، فلما رأى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عدة خروجا عن حدود الله ، وعصيانا لما شرع الله ، فاستشار الصحابة ، وقال إن الناس قد استعجلوا فى أمر لهم كانت لهم فيه أناة فلو أمضيته عليهم ، فلما وافقوا أمضاه عليهم . . .

ولنا تعليق على هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه من وجوه :
أولها : أن الذى استكثره عمر رضى الله عنه أنهم طلقوا أكثر من مرة فى العدة ، ولم يذكر أنهم طلقوا ثلاثا بلفظ الثلاث (راجع كتاب الطلاق للمرحوم الشيخ شاكر ، وأعلام الموقعين) .

ثانيا : أنه زاد فى الخبر أنه استشار الصحابة ووافقوه ، وظاهره أن الموافقة كانت بالقول . والخبر كما جاء فى صحيح مسلم ليس فيه استشارة ولا موافقة صريحة ، وإنما الأمر كما جاء فى فتح القدير أنهم سكتوا ، ولم يعترضوا بعد ذلك إجماعا ، لأن السكوت فى موضع الحاجة إلى البيان بيان ، وفى الإجماع السكوتى كلام ، وانكره الشافعى وفيه كلام طويل (راجع الأحكام فى أصول الأحكام للأمدى) .

ثالثا : أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه لم يقل مع كثرة الطلاق إن يكون بتحكيم بين يدي القاضى فيكون طلب الشيخ إن يكون بتحكيم القاضى بدعة ، وهو تقليد للنصارى ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

رابعا : أنه ادعى أن عمر فعل ما فعل للمصلحة .
وإذا كان الثلاث مصلحة فى نظر الشيخ فهو يأتى على أصل دعواه بالنقض ، لأنه إذا كان الطلاق لا مصلحة فيه عند التهور ، فإن توكيده يجعل الثلاث تمضى أيضا فى البعد عن المصلحة ، فكيف يسمى ذلك مصلحة ، ولكنه سباه مصلحة لغاية فى نفسه ، والله عليم بذات الصدور .

خامسا : أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يجد نصا قاطعا فى منع قوله .

ولو كان هناك نص قاطع في رد قوله ما وافق عليه احد من الصحابة . ولا التابعين ، ولا الفقهاء اصحاب المذاهب .

{ - وان الشيخ ينتهي من بحثه الذي سبناه علاجاً لحال الطلاق الذي ادعى الاسراف فيه الى ان الطلاق يكون بعد التحكيم امام القاضي . واحسب أن ذلك داء لا علاج ، وهو اتباع للكنيسة لا للقرآن . وللاهلواء والشهوات ، وليس محاربة للاهلواء والشهوات .

يقول الشيخ : « يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما اريد الطلاق الرجوع الى القاضي ، ليقوم بينهما بما امر الله في كتابه من محاولة الصلح بينهما ، وازالة اسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة حرصاً على بقاء الأسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به المودة واذا أقدم الزوج على التطبيق قبل ان يتمكن القاضي من الصلح عوقب لمخالفته ولى الامر ، فيها أصدره من قانون ملزم ، وليس في عقاب من خالف ولى الامر مخالفة لشرع الله ، فان امره واجب الطاعة .. » .

هذا ما قاله فضيلة الأستاذ ، وهو متناقض مع ما سبق من قوله من أن الطلاق بيد الزوج ، وان الله تعالى اعطاه ذلك الحق ، اذ هو يوجبه في قانونه المحترم أن يذهب الزوجان ، ومقتضى كلامه اذا ذهب الزوج وحده لا يلتفت اليه . قد يقول اذا ذهب الزوج وحده دعيت الأخرى ، ويحاول القاضي الصلح بينهما ، وبقي أمر آخر لم يذكره ان عجز القاضي عن الصلح ، واعادة المودة . وراى الزوج ان يطلق ، ايمنع من الطلاق ويجبر على الصلح اجباراً .

واذا امتنعت هي عن الصلح . وطلق الزوج ايعاقب أيضاً ، ان قوله هذا تفكير غريب ، واذا كان قانوناً مقترحاً ، فهو أغرب .

واذا كان لدى الزوج اسباب مبررة للطلاق كريبة ارتباطها . او خروج عن جادة الزوجية الصالحة ، او كانت النفرة المستحكمة التي لا يستطيع القضاء ان يجعل منها الصفاء محل الخصام وطلق الرجل في هذه الحال ، ايعاقب ، والله يقول : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

الله يقول ذلك ، وقانون الشيخ يقول : بل تبقى الزوجية على دخن . ويكون الكفر في الاسلام ثم الا يفصل القاضي اذا تقدم الزوج بأسباب يراها مبررة للطلاق ، والا يكون ذلك عدلاً ، لئن قال الشيخ ذلك فانه يكون متناقضاً مع نفسه ، لانه يمنع ان يكون الطلاق بحكم من القاضي ، فيقول قبل ذلك لانه منع التعزير على الطلاق بقوله :

بل قد يرى بحق أنها (اى الطلاق) معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤدياً الى ضرر ، من المصلحة تجنبه ، وهو اشاعة اسرار الأسر ، وخفايا البيوت وما قد يتصل بذلك من اختلاف الأسباب واقتراء الكذب ، واشاعة الفحشاء ، والعيوب وغير ذلك مما يبنى عليه طلب الطلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء .. وهكذا نرى ان الشيخ يهدم بيد ما يبنيه باليد الأخرى ..

انه يوجب رفع الأمر الى القاضي ، والقاضي يفصل في الخصومات ، ولكن ايريد مشروعه ان يقتصر على محاولة الإصلاح فقط ، ولا ينظر ما لدى الرجل من اسباب للطلاق ، وقد جاء الأمر اليه ، والا لا يكن قاضياً جالساً في مجلس القضاء ، وأن نظر الا يكون في ذلك ما حاول الشيخ ان يتوقاه ، أم انه يجعل مهمته فقط محاولة الصلح ، وهل يستطيع ان يمنع الزوج مما يراه مبرراً

للطلاق . والا يكون أولى من القاضي حينئذ محكمون ، أو الموثق الشرعى اللهم ان هذا الفكر لا جدوى فيه ، الا ان يكون استدرجا للشيخ ومن معه الى الا يكون الطلاق الا بحكم القاضي كالنصارى .

وكان غريبا ان يقول شيخنا ان العقوبة بالغرامة أو الحبس ليست لأجل الطلاق إنما هي لمخالفة ولى الأمر .

وقد وجدنا ذلك الكلام يجرى على السنة كل من لف لفه من أعضاء لجنة وزارة الشؤون الاجتماعية ، وأنا نسأله هو ومن معه لم وضع ولى الأمر هذه العقوبة ليست على الطلاق من غير عرض الأمر على القضاء ، وحينئذ يكون وضع العقوبة على الطلاق ابتداء ، وأن العقوبة على الطلاق تكون مصادمة للنصوص القرآنية ، وما أقر الصحابة أنه حلال عند الحاجة النفسية اليه ، وتقدير الحاجة نفسى للمطلق لا ينظر أمام القضاء ، وخفايا النفوس لا يمكن القضاء أن يتعرفها .

الله تعالى يقول : « لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » . ويقول تعالى : « وإذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة » يقول الله تعالى ذلك ، ويقول ولى الأمر باقتراح الشيخ من طلق من غير محاولة صلح عندي أغرمه أو أسجنه ، الا يكون ذلك معصية ، ولو كانت باقتراح الشيخ ولا طاعة لخلق فى معصية الخالق .

ان من الانصاف أن نقول : ان الشيخ قال فى بعض الصحف السيارة أنه يجوز لولى الأمر ان يقيد المباحات وأنه يبنى على هذا القول أنه يجوز له أن يقيد الطلاق بأن يكون بعد محاولة الصلح أمام القضاء . ونقول الحق فى هذا القول : ان المباحات قسمان مباحات بالنص . كالطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من المباحات التى جاءت النصوص المحللة ، وهذه لا يصح منعها ، ولا تقييدها ، وان من يحاول منعها ينطبق عليه قول الله تعالى : « ولا تقسولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفترؤا على الله الكذب » وينطبق عليها قول الله تعالى ناهيا : « يا أيها الذين آمنوا لا تهرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » . وقد عاتب الله تعالى نبيه عندما حرم زواجه على نفسه ، فقد قال تعالى : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ، والله غفور رحيم » .

هذا هو القسم الأول ، ومن حرمه ، إنما يحرم ما أحل الله ، فلا يجوز لشيخ ولا ولى أمر ان يحرمه .

والقسم الثانى ما كان مباحا بأصل الإباحة ، وبمقتضى ان الله تعالى خلق لنا كل شيء كالرور فى الطرقات فإن ولى الأمر ينظمه بقبود يقيدها ، بحيث لا يصل الأمر الى درجة التحريم ، فليس لأحد أن يحل أو يحرم .

هـ — هل كثر الطلاق المرفق للأسرة :

أكثر الشيخ حفظه الله من ذكر ان الناس يتسرعون فى الطلاق ، فيطلقون تحت تأثير غضب جامع ، أو فكرة عارضة من غير تدبر ولا تفكير ولا مراجعة للنفس ، وان علاج ذلك يكون بأن يكون بين القاضي مصالحسا ، أو حاكما ، والأولى ستجر الى الثانية لا محالة .

وذلك تقليد مسيحي ، فهل الشرع الاسلامي لم يعالج ذلك ، وهل المشروعات التي وافق على بعضها الشيخ موافقة تامة لم تعالج ذلك .
ان الشرع الاسلامي بنصوص القرآن وسنة النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم عالج ذلك فجعل الطلاق كله يكون رجعيا ، وازواجهن احق بردهن في العدة ، كما قال تعالى : **« وبمولتهن احق بردهن في ذلك »** فان كانت الطلقة الرجعية جاءت تحت تأثير حال عارضة . فهي اذار . والفرصة قائمة وان عرض ما جعله يطلق مرة اخرى فهي ايضا رجعية ، وهي نذير شديد الانذار اذ يستمع فيه الى قوله تعالى : **« الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح باحسان »** .

فان لم تجد النذر كانت عقوبة الله تعالى لا عقوبة ولي الامر التي لا يملكها ويريد الشيخ ان يملكها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) . . وهي تجربة نفسية عنيفة لخطأ نفس متكرر . نعيوب النفس تعالج بالنفس لا بالقضاء ، والقضاء لا يعالج النفوس .

والقرآن اشار الى ان الطلاق لا يكون في الحيض . فقال تعالى : **« يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن »** اي مستقبلا عدتهن وهن الحيض . والفقهاء قرروا ان الطلاق اذا كان في الحيض . او طهر دخل بها فيه يكون بدعيا ، فالقرآن والسنة ، والفقهاء بهديهما عالجوا خطأ النفس بالنفس ، لا بالقضاء ، لانه يؤثر العدوات على ائني مسائل قضاة الاحوال الشخصية . — وقد شغل فضيلة الشيخ ذلك المنصب امدا — هل كانوا يعملون على الصلح في قضايا النفقات والحضانة وغيرها مما يعرض امام المحاكم الشرعية ، ونص القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ ولائحة المحاكم الشرعية قبل ان يدخلها التعديل بهذا القانون كان يدعو الى الصلح قبل ان يسير في القضية ، ابتاء على المودة بين الزوجين ، حتى لا تمزقها الخصومات ، فهل حاول القضاء ذلك ، وهل دون في محاضره هذا فلماذا تحمل الان القضاء ذلك الامر ، وهو لم يفعل ذلك من قبل اذ طلب ، لانه حسب نفسه للفصل لا للصلح .

وانا سائل الشيخ عن انواع الطلاق الآتية ، اتكون العقوبة مقررة فيها :
١ — وقوع الفرقة بالايلاء بمقتضى قوله تعالى : **« للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان غفروا فان الله غفور رحيم »** ، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم » ماذا تقول ايعاقب الحالف الذي تربص اربعة اشهر ولم يأت امراته فيها ووقع الطلاق نتيجة لذلك ، فان كان يعاقب ، فانه يعاقب على حكم الله بالطلاق ، اذ لم يطق ، وفوق ذلك فالعقاب مصادمة لحكم الله تعالى ، واجبار على امر لا يستطيعه ، وهو الدخول .
وان كنتم لا تعاقبون فقد هدمتم ما بنيتم ، اذ يلجأ الناس عند المباغضة الى الايلاء .

ب — اذا غوض الرجل الى المرأة امر طلاقها ، فطلقت نفسها ، ايعاقب الزوج ام تعاقب الزوجة ام يعاقبان ، هو على تفويضه ، وهي على ايقاع الطلاق ، ولا احسب ان السيدة الدكتوراة وزيرة الشؤون الاجتماعية تعاقب الزوجة لانها لا تلتقي تبعته على امرأة ، بل تلتقيها على الرجل .

ج — اذا اقتدت المرأة نفسها من عشرة لا تطيقها ، وغضت مالا او ابرات عملا بقوله تعالى : **« فان خفت الا يقيا حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما اقتدت به »** اذ كان ذلك كذلك ، وكان الطلاق بالخلع اتكون عقوبة ، وعلى

أيهما أعلى الزوج أم على الزوجة لأنها التي حملته على ذلك حملا ، أم عليهما ، ولا أحسب أن السيدة وزيرة الشؤون الاجتماعية ترضى بتحميل المرأة تبعة .
 انى أحسب أن الذين وضعوا المشروع الذى يدافع عنه الشيخ أو يحاول تبريره لم يذكروا فى الأمر من كل نواحيه ، ولو تدبروا فيه من كل وجوهه لرجونا أن يعملوا ، ولا هتدوا الى سواء السبيل .
 أن الأمر لا يقف عند تحكيم القاضى ، بل سيكون منع الطلاق الا باذن القاضى ، وانهم يستدرجون الشيوخ الى ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله .
 انهم يريدون أن تكون الأسرة الاسلامية محكومة بحكم الكنيسة لا بحكم الاسلام تقليدا وليس حماية للمرأة ، بل المرأة فى حماية الله ، وهو الرؤوف الرحيم .

ولكن لماذا يتجهجون بهذه البدع التى لم يكن لها نظير فى الاسلام ، ويتحملون تبعة ذلك الابتداع فى شرعنا ، بل فى ديننا .
 قالوا : أن الطلاق المفرق للأسرة قد كثر ، وأن تشييت الاولاد قد عم ، وأن الطلاق هو الذى يسبب ذلك ، وأن المصلحة تقتضى وضع قيود مائة من الاندفاع فيه ، ذلك قولهم بأفواههم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .
 ولتناقش هذا الذى ادعوه :

أن وقائع الطلاق فى مصر أقل من وقائع الطلاق فى أمريكا ، فقد بلغت نسبة وقائع الطلاق فى أمريكا ، وهو بيد القاضى نحو ٤٨ ٪ من وقائع الزواج ، وقريب من ذلك فى البلاد التى أباحت توثيق الزواج غير المكتسب ، انه يكفى عندهم أن تقول المرأة أنه لم يقبلها فى الصباح كعادته فى ابتداء الزواج حتى يطلق القاضى ، هذا ما ترويه الصحف .
 ونسبة وقائع الطلاق فى مصر الى الزواج ، كما يدل على ذلك احصاء ١٩٦٠ هـ ٢٣ ٪ .

ونريد أن نقول أن الاحصائية تذكر عدد الطلاق بالنسبة للزواج سواء كان قبل الدخول أم بعده ، وسواء كان الطلاق رجعيا أم كان بائنا ، وسواء كان بتراضى الزوجين أم بمجرد ارادة الرجل ، أن الاحصائية لا تتعرض لذلك ، انما تحصى الوقائع احصاء ، ويجيء فلاسفة العصر المحاربون للشرع والموالون لفغيره بتفكيرهم ، فيقولون كل طلاق يخرّب أسرة ، ويفرق بين الأبوين ، وهو قول من يلمّ بحضّ الحقائق ، ولم يدرس الاحصاء .
 ونحن نشهد الله لا نتمعصب لفكرة لم نفحص أدلتها ، ولا نحارب فكرة من غير بينة من البرهان القاطع فى بطلانها ، ولكننا نفحص ما يعرض لفحصا يليق بمن يدرس أمرا اجتماعيا خطيرا فى مبناه ومغزاه .

٦ - الاحصاء يدل على أن الطلاق لا يخرّب أسرة :

لقد تمنا باحصاء سهله لنا بعض أبنائنا من موظفى المحكمة الشرعية بمصر القديمة سنة ١٩٥٦ . ولقد دلنا الاحصاء على أن نسبة الطلاق بالنسبة للزواج تزيد على ٣٦ ٪ ، وهى تزيد على النسبة العامة فى مصر ، إذ أنها حول ٢٣ ٪ فى عمومها .
 وذلك لأسباب اجتماعية اقتصادية خاصة بمصر القديمة لأنها مرسى

السفن التي تجيء من الوجه القبلى . وفى بولاق لأنها مرسى السفن التي تجيء من الوجه البحرى والملاحون والحمله فى السفن يتزوجون ، وعند الرحيل يطلتقون .

ومهما يكن السبب ، فقد درسنا حال الطلاق الكبير فى نسبته فى مصر القديمة سنة ١٩٥٦ أىخرب الأسر أم لا يمسها بسوء .
لقد وجدنا عدد الزواج يصل بالاحصاء الى ١٦٨٦ (ستة وثمانين وستائة وائف) عسدا .

ووقائع الطلاق عدها ٦٠٥ (خمس وستائة) .
ولاشك أن الطلاق الذى يخرب الأسرة ، ويفرق بين الاولاد يجب أن يكون بعد الدخول والا تكون رجعة بين الزوجين كما شرع الله تعالى ، والا تستأنف الحياه الزوجية بعقد بين اثنين وقع الطلاق بينهما ولم يتراجعا فى العده ، والا يكون بالتراضى بين الزوجين .

ولتحكم الاحصاء فى ذلك ، بأن نتعرف عدد الطلاق قبل الدخول ونستطه من وقائع الطلاق ، لأنه طلاق فى موضعه ، اذ هو منع لحياه زوجية غير صالحة للبناء ، فهو وقاية من حياه زوجية فاسده .
ولنتعرف عدد الرجعات ، فانه عند الرجعة لا تنفصم العلاقه الزوجية ، ولا تفرق فى الأسرة ، ولا يختار الاولاد بين أبوين منفصلين .
وكذلك الأمر بالنسبة لتجديد الزواج بين زوج ومطلقة ، فان الأسرة اذا كانت قد تقطعت ابتداء ، فقد وصلت انتهاء ، ولا تخريب ولا تشتيت فى هذا الحال .

ويجب أن نستط من العدد الطلاق برضا الزوجين ، لان الزواج بتراضيهما فالطلاق بتراضيهما ، وفى أكثر أحواله يكون بطلب المرأة اذا كرهت زوجها كما كان فى أمر النبى بالنسبة للمرأة التى قالت للرسول : انى لا أشكو من زوجى خلقت ولا ديناً ، انى أكره الكفر فى الاسلام ، انى لا أطيقه بغضا ، فأمره النبى أن يطلقها على أن ترد اليه حديقته التى كانت مهرها .

ولان التراضى بين الزوجين يكون اذا خافا الا يقيما حدود الله ، فكان الابتداء ولذلك نزل من عدد الطلاق ، الطلاق قبل الدخول ، وعده فى سنة ١٩٥٦ بمحكمة مصر القديمة « ٣٩ » ، وعدد الرجعات كانت « ٣٨ » وعسد الزواج بعد الطلاق وانتهاء العده « ١٥٠ » وعدد الطلاق بالإبراء أى برضا الزوجة وتقديهما مالا فى مسيله « ٤٠٤ » .

ويجمع هذه الاحوال يكون مجموعها ٣٩ + ٣٨ + ١٥٠ + ٤٠٤ = ٦٣١ .
واذا كان عدد الطلاق ٦٠٥ ، فانه يزيد الذى يسقط عن أصل العدد بست وعشرين واقعة ، وهى تكون من عدد الطلاق فى السنة التى قبلها ولم تدخل فى حساب سنة ١٩٥٦ م .

وان نتيجة هذا الاحصاء ، انه بعد اسقاط الأعداد التى لا يمكن أن يكون تخريب أسرة ، اذ يكون الطلاق الذى يخرب أو يظلم المرأة لا وجود له ، وأن وجد فبنسبة لا تذكر فى حساب يترتب عليه محاربة نظام مستبد من الاسلام ، ولا مصلحة فى هذه المحاربة ، بل هى عبث فى عبث ، لا خير وراءه .

وانه يجب أن يعرف أنه كان احصاء قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية قام به الاستاذ الدكتور عويس أثبت فيه أن الاولاد الذين

لا يتربون في ظل أبويهم أكثر مما هم عندنا ، ولكن حكوماتهم تقوم بالرعاية والتتبع .

لقد ثبت من احصاء الدكتور عويس ، ان اسباب تخريب الأسرة في إنجلترا متعددة :

- أ - ومنها الفراق الجسدي ، وهو أكثر من عدد الطلاق عندنا .
- ب - ومنها اتخاذ الخلائل ، وهو أكثر من تعدد الزوجات .
- ج - ومنها الهجر الشديد ، وهو عندنا يعالج ، وان كان أقل عددا .
- د - ومنها ادمان الخمر ، وهو عندنا لم يبلغ من الفحش درجة تقارب ما عندهم .

هـ - ومنها القمار المخرب ، وهو عندنا محرم أولا ، ولا يقارب ما عندهم ولذلك كان الأولاد الذين لا يتربون في رعاية أبويهم مجتمعين أكثر مما عندنا ، ولكن هناك رعاية للأحداث ليست عندنا كما قلنا ، فالعيب في حكوماتنا لا في شعبنا ، ولا في شرعنا وديننا .

و - ومن الغريب أن تكون هذه الحيلة الباطلة في الوقت الذي تحاول فيه الحكومات الكاثوليكية أن تتحلل من منع الطلاق ، وقد صدر في إيطاليا موطن البطريق الأكبر للكاتوليك ، قانون يبيح الطلاق .

ولكن لا غرابة فإن عندنا نوعين من الناس يحاربون المبادئ الإسلامية في الأسرة :

أولهما : نوع لا حريجة للدين في قلوبهم ولا يجدون حرجا في انفسهم في تقليد الكنيسة فيما تقضي به ، ولذلك يدعون إلى تقبيد الطلاق وتقبيد تعدد الزوجات ، ويدعون باطلا من القول وزورا وبهتان أن الطلاق يخرب الأسر ، وليس فيه شيء من ذلك الا قليلا وما عند الأوروبيين أشد وبالا ، وأقبح مالا .

ثانيهما : طائفة من الناس يظنون انفسهم انصارا للمرأة وهم أعداؤها ، يظنون أن جعل الطلاق بيد الزوج أهدار للمرأة .

الا فليعلم هؤلاء أن الطلاق اذا شحت النفوس بالمودة يكون خيرا للمرأة ، لأنه اذا لم يكن كان الاعتداء المتكرر عليها ، وربما أدى إلى موتها ، وأي سعادة مع رجل يبغضها . وليعلموا أن كل تضيق في الأسرة يقلل الاقبال على الزواج فتعنس المرأة وتفسد أعصابها ، أو تضع نفسها في موضع الافتراض المحرم ، وأي مهانة للمرأة أكثر من هذا . فانتقوا الله بهؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا أمعات طائفة لهؤلاء وأولئك ، وليعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، أنهم في الوقاية من كل شر ، اللهم أهدنا فيمن هديت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، ويسر لنا من أمرنا عسرا ، وأهدنا إلى الرشاد .

مولد آخر

محمد بن عبد الله صلوات الله عليه رسول الله للبشرية كلها ، سيدى يا رسول الله . يا من نطقك باسمك ملايين الملايين ، وسيفى اسمك موددا فى القلوب وعلى الألسنة حتى يوم الدين ، سيدى يا رسول الله يا من اتبعت دعوتك جموع غفيرة من ملايين البشرية فى كل مكان وحين ، سيدى يا رسول الله يا معلم البشرية الخلق الكريم ويا من بعثك الله رحمة للعالمين وبعثك خاتم النبيين والمرسلين ، ان مولدك عيد ، وعيد اكبر للمؤمنين بسبه والمهتدين بهديك على من السنين ، ان مولدك ينبغي ان يكون اكبر عيد للبشرية كلها ، فمولدك فى الحق مولد الحق المبين ، فقد اصطفاك الله من بين خلقه وبعثك على خلق عظيم ، لتبشر الناس بالحق ، وتهديهم الى الصراط المستقيم وتنقذ البشرية كلها مما كانت تتخبط فيه من عقائد تزيف افكارها ، حتى اوصلتها الى جانب كبير من الفوضى ، بعثك الله على فترة من الرسل صل فيها الناس رشادهم ، فصاروا اصناما تعبد اصنامها ، تأسرهم الشهوات ، وتستغلهم الاموال ، وتستعبدهم قوى البقى والطفيان

لقد اضاء الله بمولدك الظلام الداجى ، يوم كان المصالحم يتخبط فى مناهات الحيرة والضلال ، وجعل منك الداعية الصابر الحليم ، المستميت فى سبيل اعلان كلمة الله ، وانتصار الحق ، والوقوف فى وجه الطفيان ، مهما كلفك ذلك من جهد ، او تطلب منك تضحية وبذلا ، فكنت المصالحم المثالى ، والقوة الصالحة ، وكان الوهى هاديا لك ومرشدا ، والسيف فى يدك لحرود الحماية من غير بغي ولا عدوان ، تدعو الناس الى التحرر من ريقه الدل والاستعباد ، وتنصف المظلوم من الظالم ، وتنصر الضعيف على القوى ، وتقف بجانب الحق دائما ، ولا تعبا الا بصوت الضمير ، فاعدت للانسان انسانيته ، ووصلته الى الطريق الذى يحفظ به كرامته ، ويكون

رسول ورسالة

مرفوع الرأس دائما لانه يسير على الطريق المستقيم ، فكتبت بحق رحمة
للعالمين .

تفتح يوم مولده صلوات الله وسلامه عليه في شهر ربيع الاول من
خير شمل الدنيا كلها والانسانية جمعاء وكان من حكمة الله أن ينشأ يتيما
فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين في بطن أمه آمنة بنت
وهب في أوائل مراحل الحمل ، ثم ماتت أمه وهي في طريق عودتها به
صغيرا الى مكة بلده ومسقط رأسه ، وكانت في زيارة أخوال أبيه - بنى
النجار - ببئر ، فحرم صلوات الله عليه من حنان الامومة وهو في سن
أحوج ما يكون الطفل متطلبا له ، وحرم من عطف أبيه وتوجيهه وبره ، وخلا
قلبه من شواغل الابوة والامومة ليمتلئ بما أعده الله له من حمل رسالة
الاسلام بعد أن يصنعه الله على عينه ويتممهده بالرعاية والتوجيه ، فكان
في كنف الله ، وحسبك من كان في رعاية الله ، وكان سبحانه هو الذي
يتولاه .

نشأ محمد بن عبد الله يتيما لا مال له ، بعيدا عن الجاه والسلطان فلم
يخلف له أبواه مالا ولا سلطانا ، كان عزوفا منذ نشأته عن كل رجس ودنس ،
يميل بقطرته الى الخير ، وكان في شبابه الصادق الأمين في قومه ، عرفوا
عنه من أول أيامه بينهم الصدق والامانة والوفاء والمروءة والتعاون وحب
الخير للناس جميعا ، وعندما اكتملت رجولته خلا بنفسه في الفسار بعيدا
عن الناس وعن كل متع الحياة يناجى ربه فيقبله الله قبولاً حسناً ، ويعلمه
تعلما ربانيا ، وينزل عليه الوحي بكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ويأمره

أن يبلغ الناس ما أنزل اليه من ربه ، فيصدق لأمر ربه غير عابىء بما يقف
فى سبيل ذلك من عقبات .

نعم علمه ربه ورعاه فلم يعلمه بشر ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه
إنسان ، أدبه ربه فأحسن تاديبه وقوم خلقه فأحسن تقويمه ، ورعاه
فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادئ الخير واستأصل من نفسه كل
معانى الشر فاستحق أن يصفه ربه بقوله : « وأنت لعلى خلق عظيم »
وصدق الله إذ يقول : « ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من
الأولى ، ولنسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيما غاوى ووجدك ضالا
فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى . . » فكان خير تلميذ لأفضل أستاذ ، وصدق
إذ يقول فيها يروى عنه : « أدبنى ربى فأحسن تاديبى » فكان بحق إنسانا
سويا ، ومثلا أعلى للإنسانية ، يسيل رقة ، ويفيض حنانا ، ولما بلغ أشده
واستوى آتاه الله العلم والحكمة ، وجعله نبيا مرسلا وختم به رسله وختم
برسالته رسالاتهم ، وكان بذلك أهلا لتحمل هذا العبء الكبير ، وأن يحمل
لل بشرية جمعاء فى عصورها المختلفة دعوة التوحيد . فحمل الرسالة ،
وصان الأمانة ، وأحسن الرعاية ، وأخلص فى دعوته ، وكان المثل الأعلى
لكل من آمن به حتى يرث الله الأرض ومن عليها .



ويوم أن دعا محمد صلوات الله عليه بدعوة الاسلام ، كان يقف فى
وجهه وأقع ضخم من عقائد وتصورات ونظم مختلفة ، وتقاليد متأصلة فى
النفوس ، وكانت السيطرة الكاملة للمال والقوة ، لكنه وقف صامدا أمام
كل ذلك غير عابىء بشيء منه ، ورغم ما عرضوا عليه من مال وجساء
وسلطان وقال كلمته الشهيرة التى ملأت فم الدنيا طوال هذه السنين :
« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا
الأمر أو أهلك دونه ما تركته حتى يظهره الله » وانتصر محمد بقوة إيمانه ،
وانتصرت دعوته على الواقع الضخم ، ونادى فى الناس مقرا مبدءا
إنسانيا كبيرا ما كانت البشرية تعرفه فى ذلك العصر فقال :

« أيها الناس . أن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم
من تراب ، أن أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربى على عربى ولا لعجمى
على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى » ،
وبلفهم قول ربه فيها أوحى اليه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . أن أكرمكم عند الله اتقاكم » . وقوله
جل شأنه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . . »

ولم يكن هذا المبدأ أو غيره من المبادئ الإنسانية التى جاء بها
الاسلام ، ولم يسبقه اليها قانون حضارى لم تكن مبادئ نظرية ، ولكنها
كانت أوضاعا عملية ، فقد خضعت رقعة فسيحة من المعمورة للحكم
الاسلامى ، شملت أجناسا مختلفة وألوانا متباينة ، وعاش الجميع فى ظل
الحكم الاسلامى إخوانا متحابين ذابت من بينهم غوارق الجنس واللون
والطبقية المتحكمة ، وإنما كان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،

وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر .

كان هذا المبدأ واقعيا اذا في حياة الجماعة المسلمة التي طبقت حكم الاسلام وخضعت لنظمه وتعاليمه ، وسرعان ما عم اوطانا كثيرة دخلها الاسلام بنوره قبل ان يدخلها المسلمون بسيوفهم ، وسرعان ما انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمون العالم بالقيم الخلقية ، والمبادئ القانونية العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وحافظوا على التراث العلمى ، وكانوا كقائدهم الاول ، ومعلمهم الذى يقتدون به وينهجون نهجه ويمثلون به ، ان انتصروا لم يبطرهم الظفر ، وان كانت الاخرى لم يبتسوا ولم يياسوا ، فهم فى الصالين منتصرون على انفسهم ، لانهم اصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه الذين صاغهم من معادن العرب رجالا ونساء قدمهم الى الدنيا كلها .

-

ان الدين الذى جاء به هذا الرسول الكريم منيح الهى للحياة البشرية ، وقوة بناء وحركة دافعة الى النمو المطرد وانطلاق الى الحركة ، وهذا المنهج يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد البشر انفسهم ، وفى حدود طاقتهم ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة ، ولا يتحقق بمجرد ابلاغه للناس وبيانه لهم ، وانما بالعمل على مقتضى تعاليمه ، عمل العقل ، وعمل البدن .

وعمل العقل يكون يفهم نصوصه والتعرف على مقاصده فى ضوء واقع الحياة الذى جاء هذا الدين مسائرا لمصالح الناس الحقيقية لا التوهمية ، وهذا يقتضى التزود بالعلم والمعرفة ، ومن أجل ذلك وجه الاسلام الى العلم والتزود به فى أول آية نزلت من القرآن جيمعه ، اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وعمل البدن بالمشى فى مناكب الارض ابتغاء للرزق واستثمار كل ما فيها من خيرات يقول الله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض » . فقد قرن الله العمل بالعبادة ونبه الى انه لا ينبغي أن يصرف التوغل فى العبادة الناس عن امور معاشهم وشئون دنياهم يقول سبحانه جل شأنه : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » . فربط الرزق بالمسعى فى طلبه والعمل من أجله ، وان حرص الدين الإسلامى على العمل لئلا أهم ما يتجلى فى توجيهاته الرشيدة وتشريعاته الحكيمة فقد كلفنا الله بالعمل والضرب فى الارض لممارتها فى آيات عديدة ولقد كان الرسول نفسه مثلا أعلى فى الكفاح والسعى ، وكان يشترك أصحابه فى الشئون العامة حين يتحركون ويقول صلوات الله عليه فيما يروى عنه : « اطلبوا الرزق فى خبايا الارض » ويقول : « لان يغدو أحدكم فيحطب على ظهره ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » وكان أبو بكر يتعيش من حرفته فى صدر خلافته وكان عمر يقول : من كان له مال فليصلحه ومن كانت له أرض فليعمرها ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد »

وصدق الله العظيم : « وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون
ويستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

اخى القارىء الكريم : اعتقد انه من واجبي ونحن فى هذه الذكرى
العطرة — التى يجب الا يختص بها هذا الشهر وحده ، وانما ينبغى ان
تكون حاضرة وماثلة فى الازهان دائما — ان اقدم شيئا من المثل العليا فى
صفات الرسول واعماله لنعمل على منوالها فى حياتنا ما أمكن : وشيئا
عن الرسالة التى حررت الانسان من الاستعباد والظلم والظغيان .

أولا : من صفات الرسول واعماله :

١ — خلقه ومظاهر السلام فى حياته : كانت مثالية النبى صلى الله
عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لأصحابه أن يتنافسوا فى القرب من
معانيه العظيمة الكريمة . وسألو عائشة رضى الله عنها وعنهم عن خلقه
فقلت « كان خلقه القرآن ، يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده » ،
ولقد صدقت فيها وصفت ، فقد كان القرآن رضاه وسخطه ، به يصادق
وفيه يعسدى ، وقد جعل صلوات الله عليه نفسه المثل الاول فى مظاهر
التحرر الاسلامى ، فكان ينهى أن يعظموه فيقول : « لا تعظمونى كما تعظم
الاعاجم ملوكها » وكان من الآثار العامة لهذا الخلق : ان الفى الفوارق
فى مجتمعه وحاربها ، فقوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الامم .
واذا كان السلام هو الامان ، وكانت الوسيلة اليه تأليف القلوب بكف
الاذى تارة والاحسان تارة أخرى ، فقد كان رسولنا الكريم النمط الاعلى
والغاية التى ليست وراءها غاية فى ذلك المعنى ، فهو الذى قال له جبريل
وحى السماء : ان الله كلفك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ،
وتعفو عن ظلمك ، وقد روى ابن عباس أن المنافقين كانوا يؤذون النبى ،
وكان كلما أذن له فى التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة ، فكان
يستغفر لهم حتى أنزل الله قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولقد وضعت له إحدى اليهوديات
السم فى الشاة التى قدمتها له طعاما فى المدينة فما حاول أن ينتقم منها
ايثارا للسلام .

وكذلك من تتبع سيرته مع زوجاته وجد ايثاره للسلام حافا به
ومسيطرا عليه فقد روى انهن شغبن عليه فى بعض المناسبات . فما زاد
على أن اعتزلهن حتى يتوب اليهن رشدهن دون خصومة ولا ابداء ، فلا غرو
أن تصفه السيدة عائشة بقولها : « لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزىء
السبئية بالسبئية ، ولكن يعفو ويصفح وما ضرب بيده شيئا قط ولا ضرب
امراة ولا خادما الا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا سئل شيئا قط فمنعه الا
أن يسأل مائتا ، ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمت الله » .

روت كتب السيرة أنه حين أخرج من مكة الى الطائف ، وأغرى به
أهل الطائف سفهاءهم وصبيانهم على رميه بالحجارة حتى أوجعوه وادموا

تقدميه ، وقف يدعو الله قائلا : « ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي » فأرسل الله اليه ملك الجبال يقول له : ان الله أرسلني اليك لأكون طوع أمرك فإن شئت طبقت عليهم الأخشبين — وهما جبلان يحيطان بمكة — فاهلكتهم جميعا . فقال عليه السلام : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبدوه ولا يشرك به شيئا » . فأنظر كيف أثر الرحمة والسلام وهو في أشد حالات الضنك . اليس هو القائل : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

وما يدل على أن الرسول عليه السلام عرف بين قومه وأعدائه بحبه للسلام ما روى أنه وقد عاد هو وأصحابه من بعض الغزوات ، ونزلوا في بعض الطريق ليستريحوا من أعباء الجهاد والسفر . ففتفتوا وكان النبي نائما وحده تحت شجرة فأتاه بعض المشركين خلصة ، وأخذ سيف النبي فهزه في يده ليقتل به النبي فاستيقظ الرسول وهو على ذلك فقال له المشرك : من يمنعك مني يا محمد ؟! قال : الله . فارتعدت فرائص الرجل ووقع السيف من يده . فأخذه النبي وقال للرجل من يمنعك مني ؟ فقال يا محمد : كن خير آخذ . فعفا عنه .

وأنظر اليه حينها دخل مكة فاتحا منتصرا وخافه المشركون من أهلها لانهم آذوه وعذبوه وأخرجوه منها لكنه جمعهم وقال : يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم ؟ قالوا خيرا فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . جاء محمد رسول سلام ينادي به ويحرص عليه ، لكنه السلام العادل ، والعدل المسالم ، فإذا ما تهدده النبي هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ، ويتحدى خصومه في ساحة الحرب ، وما ذلك الا لان الاسلام حينها يدعو الى التسامح والسلام ، انما يدعو اليه في عزة اذ حينما يكون في مركز الضعف فانه يكون استسلاما لا سلاما .

٢ — علو همته وبعده عن السفاسف :

جاء في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا أوى الى منزله جزأ وقته ثلاثة اجزاء . جزءا لله ، وجزءا لاهله وجزءا لنفسه . ثم جعل ما لنفسه قسمة بينه وبين الناس ، فيعلم خواص أصحابه ما ينقلونه الى عامتهم ، وان كان صلوات الله عليه يعلم الجميع اذا خرج اليهم فلا يدخر عنهم شيئا . . ويقول الامام علي : انه كان من مسئلكه في جزء امته الذي خصصه لهم ايثار أهل الفضل بالاذن لهم بالدخول عليه فيعطى كلا منهم ما يناسبه من العلم ، وكان يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الأمة معهم ، فكان يقول لهم : « ليلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده الا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، فيخرجون من عنده أدلة على الخير اذ كان صلوات الله عليه كما يقول الامام علي : يحفظ لسانه الا فيما يؤلفهم ولا يفرهم ، ويحسن الحسن ويقبح القبيح ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا . . لكل حال عنده عتاد ، وفي هذا ما يدل على ما كان عليه النبي صلوات الله عليه من الجد والصرامة ، وعلو الهمة والبعد عن الدنيا والسفاسف ، كان حازقا يحترس من الناس من غير أن يتجهمهم .

وكان على جانب موفور من الذكاء وقوة العقل ، وكان لذلك أثره

الواضح فى توجيه الانتظار الى الاسلام بالتقدير والاقبال ، فكان يسع
الناس بطيله وكرم نفسه . .

وقد كانت مقدمات الهجرة آيات بينات على صدق تلك العبرية فقد
تخير فيها من بيت مكانه ، وتخير فيها من يصحبه ، وتخير فيها غارا يختبئ
فيه فى الطريق المضاد لهجرة ، وتخير فيها من يروحون ويغدون بين
الغار ومكة ، كما كان اعداده لفتح مكة وتكنمه حتى بالنسبة لجنده وقواده
وجته ، وتكتيكه العسكرى لذلك وتوزيع قواته عند الهجوم لأكبر دليل
على ذكاء متوقد وقدرة فائقة فى علو الهمة .

انظر اليه وهو يضع أسس الوحدة بين من آمنوا به حتى أصبح
الواحد منهم يؤثر أخاه المسلم على أهله وعشيرته المخالفين له فى
العقيدة ، فالمسلمون جميعا يخضعون لاله واحد لا شريك له ، ويتجهون له
فى صف واحد لا تمايز بين أفرادهم ، وإلى قبله واحدة وهدف واحد ،
والجميع يتعاونون فيما بينهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوفر على العبادة بما لا يطلبه من
اتباعه ، ويملأ كل فراغه بطاعة الله والانباء اليه والخشوع بين يديه ،
ويسأل الله أن يعطيه العون على شغل ما استطاع من وقته بالعبادة ،
وأن يحفظه من التورط فيما لا يرضيه ، وكان فى كل أوقات حياته منيبا الى
ربه لا يفغل عن ذكره ولا يشتغل بغير مرضاته والاتجاه الى ذاته ، ولهذا
كان يمدد الله سبحانه بخير مدد يقوى هذه العناية وهو لقاء جبريل معه
ومدارسته القرآن فى شهر رمضان .

ومع حرصه صلوات الله عليه على اليسر له ولأمته فانه كان أحيانا
يختص نفسه بمواصلة الصوم زيادة فى الرياضة النفسية الملائكية . .
روى الشيخان عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « نهى النبى
صلى الله عليه وسلم عن صوم الوصال رحمة بالناس . فقالوا : انك
تواصل ؟ فقال : انى لست كهينتكم انى يطعمنى ربه ويسقنى » .

هذه مقتطفات سريعة نعرضها فى هذه المناسبة من صفات الرسول
وأعماله وما أجملها وأكثرها نكتفى بها حتى نجد مجالا فى هذا المقال
لما وعدنا به من الاشارة الى بعض ما جاءت به الرسالة من ثورة اصلاحية
على النظم الفاسدة . .

ثانيا : دعوة الاسلام :

كانت دعوة الاسلام ثورة اجتماعية على الاوضاع الظالمة ، والنظم
الفاسدة التى أشاعت فى الناس الانحلال الخلقي فأوغلوا فى الشهوات
بلا عفة ، واندفعوا وراء الملمات بلا ضابط ولا حاجز الا سلطان المقاومة
الجائرة بكل ما يتصور من وسائل العنف والقسوة . فقد كانت هذه
النظم الفاسدة فى التعامل وفى سائر الصلات ، والتفاوت الواسع بين

الناس فى الحقوق والواجبات أمرا شائعا فى كثير من بلاد العالم .
فلما بعث الله محمدا برسالة الاسلام .. قضى بالحكمة والموعظة
الحسنة على ذلك الفساد شيئا فشيئا حتى اجتثته أولا فى أمته من جذوره
عندما أخذت بتعاليم هذا الدين ، فنار بدعوته على البغى والطغيان ،
وعلى الخيانة والكذب ، وعلى التمسالى والتعاطف ، وعلى التفرقة بين
الناس : الأفراد والجماعات ، إذ جاء بالعدل الكامل ، والأمانة التامة ،
وحدث على المصدق وأوجب التزامه فى كل شيء ، وحارب الفوارق
الطبقية الواسعة ، ودعا الى التعاون والتآزر ، وجعل للفقر حقا فى مال
الغنى يقوم بأوده ويظهر قلبه من عوامل الحقد والغل ، فاستقام النهج
وامتلات قلوب المسلمين حبا وخيرا ، واستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت
للناس ..

ومما ضرب به رسول الله المثل فى رفع رؤوس المسلمين وتحريرهم
من ربقة الذل والاستعباد ، أنه وقعت خصومة بين أبى ذر وبلال ، وكان
أبو ذر موسرا صاحب مال وجاه ، وكان بلال فقيرا لا مال له ولا جاه ،
فكان مما جرى فى تلك الخصومة أن عير أبو ذر بلالا بقوله : يا ابن
السوداء ، فلما سمع النبى ذلك تغير وجهه وقال : « طف الصاع ، طف
الصاع . أعيرته بأه ؟! أنك امرؤ فيك جاهلية » . ثم انتهز هذه الفرصة
فقام خطيبا بين أصحابه لينبه الى حق بلال وامثاله من وجوب تكريمهم
ومساواتهم للآخرين ، فكان مما قال : « أخوانكم خولكم جعلهم الله تحت
أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس
ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » ، فإن الله ملككم إياهم
ولو شاء لملكهم إياكم » .

حرصت رسالة الاسلام على رد الإنسان الى فطرته التى فطر الله
الناس عليها ، واخضاعه لربه ، فالتوحيد هو المعنى الاول الذى اذا تمكن
من النفوس ذاق طعم التحرير ولم ترض ربا غير الله ، وهو المعنى
الذى يشع فى العقول بأن الناس سواء فى الانسانية ، ولهذا قرن بهذه
الدعوة الموحدة رفع آصار التعظيم لغير الله أيا كان قدره ، يقول جل
شأنه : « أياك نعبد وأياك نستعين » فلا معبود غير الله ، ولا مستعان
سواه ، فمن عبد غير الله ولجأ اليه فهو مفتر على الله الكذب ، ومن
استعان بسواه فهو خارج عن نطاق الدعوة المحمدية .

ولقد كان من ثمرات ذلك التحرر الكريم أن سوى الاسلام بين الرجل
والمرأة فى الحقوق والواجبات على الجبهة ، ورفع من شأنها وخاطبها بما
خاطب به الرجل من تكاليف وعبادات ، بعد أن كانت مغلوقة على أمرها ،
مهضومة الحق تعتبر ميراثا ضمن تركة المورث فى بعض الجماعات .
نعم ، لقد سوى الاسلام بينهما ، وما وجد فى بعض أحكامه من
فوارق يسيرة نشأت عن اعتبارات خاصة ، فإن كان نصيب الذكر فى
الأثر ضعف نصيب أخته ، فلأنه هو المنفق عليها وعلى أولادها منه ..
كما قاوم الرق بكل صور الاسترقاق لأن ذلك الرقيق المستعبد أن هو الا
إنسان فيه طاقات الإنسان ومزاياه ، ومن انحرف عن تقديره وتكريم
إنسانيته فقد انحرف عن الاسلام ، ولولا أن الرق كان نظاما دوليا لما
أقره الاسلام ولما اعترف به حتى فى الحد الضيق الذى قصره عليه معاملة
بالمثل فى الحروب ..

ونظم حياة الأسرة وجعل للزواج حدودا يرضاها كل من الزوجين وجعل القوامة للرجل ، وجعل أساس الزواج الواحدة ، وأباح التعدد في نطاق معين إذا ما وجدت الحاجة اليه مع القدرة وتحقيق العدالة ، وذلك لاعتبارات تقتضيه وتطلبه . ورأى الاسلام أن تحل مشاكل الأسرة بأيدي أفرادها وفي دائرتهم الضيقة كما يقول الله سبحانه : « واللذين تخافون نشوزهن فعظوهن » فإذا لم يجد ذلك واستعصى الأمر استعانوا بأقربائهم يقول الله : « وان يفرقا يغن الله كلا من سمته » . كما بين حقوق الاولاد وواجباتهم ، وما تتطلبه صلة القرابة عموما من واجبات وحقوق .

ونظم الارث نظاما محكما فترك للشخص حق التصرف في تركته وفي حدود الثلث ، ووزع الشارع الحكيم الباقي بين الاولاد والاتارب وأحد الزوجين ، وأمرنا باتباع حدوده في هذا وقال : « أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليهما حكيما » . .

وهكذا فقد وضع الاسلام للأسرة من القواعد والنظم ما يحفظ كيانها ويؤمنها الزلل ويجنبها الهزات العنيفة ، ان أحسن الناس فهم دينهم ، وأخلصوا النية عند تطبيق أحكامه ، كما نظم علاقات الأفراد والجماعات في السلم والحرب في جميع شئونهم ومختلف الحياة بينهم — وجاء في كل هذا بالمبادئ الثورية القوية التي هدمت الفساد والظلم ودعت إلى ما فيه صلاح الإنسانية ورفيها ، فكانت دعوة الاسلام ثورة كبرى ، مصلحة لجميع النظم ، مقومة لكل زيغ في العقائد والأخلاق والصلوات والمعاملات ، وكانت ثورة محققة لان يعيش الناس جميعا في أمن ورخاء وفي هدوء واستقرار .

ومع هذا فكانت ثورة لا توجب بغيا ولا ظلما ، ولا توقع الناس في عدوان ، ولا غرو فهي دعوة الحق بوحى من الله الذي لا تخفى عليه خافية وهو أعلم بعلل الناس وأمراضهم فهو خير مرجع وأفضل متبع .

وبعد . . فما أجددنا أن نذكر وأن نتذكر أن حياة هذا الرسول الكريم وهذه لم يخل كلاهما من عبرة ومن تذكرة ، ومن درس خالد يذكره المسلمون دائما ويهتدون بهديه صلوات الله عليه فهو نبي السلام ونبي الجهاد ، الذي رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، بدأ البناء على أساس عقيدة صلبة ثم أرسى فوق هذا البناء صرح الأخلاق ، فكانت دولة الاسلام قوية بالحق ، غياضة بالعدل ، محمية بسلامة الإيمان . .

للإستاذ : عبد الستار محمد فيض

من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

دراسة فى كتاب تتناول جانباً هاماً من حياة النبى صلى الله عليه وسلم اعتمدت على مصادر مشهود لها بالثقة والتحرى والدقة وتقدير المسئولية فى نقل الاحداث وتدوين الاخبار ، والكتاب يتعرض للفترة التى قضاها النبى عليه السلام قبل البعثة وقد عرض الغزوات فى أسلوب سهل وعبارات يسيرة وكانت غاية المؤلف فى هذه الدراسة ألا يقتصر عمله على الرد الموضوعى المجرد لحوادث الغزوات بل تتناول كل غزوة فغزوة حوادثها بتحليل لبعض زواياها وأضاف إليها تصويراً لبعض أركانها ومشاهدها كما حلل موقف أبطالها بقصد التشويق النفسى وجذب القارئ لطالعتها فيجد فيها المتعة الذهنية والمتابعة العذبة ومع ذلك لم يتخل الكاتب عن أساليب كتب السيرة المتقدمة فخرج الكتاب مزيجاً من القديم والحديث .

والكاتب هو الأستاذ سعد صادق محمد وكتابه يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة والنزء بطبعه ونشره مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى بائنا — القاهرة .

الرسول والرسالة للرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

كتاب من تأليف الأستاذ توفيق على وهبه يتضمن الرد على كتاب صدر مؤخراً تعرض فى صفحاته للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم ولبعض الأمور المتعلقة بالرسالة الخاتمة علاوة على بعض الخرافات التى الصقها مؤلفه بالفاتحين من المسلمين .

ولم يقصد الكاتب بهذا الرد إلا بيان الحقيقة ، فضمن كتابه سبعة فصول تناولت تأكيد القرآن والسنة لبشارات المسيح ومعجزة الرسول وكيفية انتشار الإسلام وتحويل القبلة وهروب الردة وغير ذلك من الأمور التى تعرض فيها الكتاب المذكور للرسول وللإسلام وللمسلمين فخرج كتاب (الرسول والرسالة) ليفند تلك المفتريات والمزاعم ويبين للعالم بطلانها وفسادها .
والكتاب ما زال تحت الطبع ونأمل أن يكون بين أيدي القراء قريباً .

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

حَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ
الْبَعْثَةِ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ

د. وهبه الزحيلي

ان ينبوع احترام الانبياء والعظماء كامن في خصائص شخصية ومقومات ذاتية ، والتزام بقيم عالية ، يعتبرون بها قمة المثل العليا ، وخير اسوة حسنة اخرجت للناس ..

وان مقياس تقدير الرجال والزعماء الخالدين في اذهان الناس قاطبة مقياس حساس يتحلى في مدى الاحترام الذي يكنه السامعون لكلامهم ، وفي ميدان الاعمال البارزة التي تصدر عنهم اثناء مراقبة تصرفاتهم وسلوكهم عن كذب ..

ثم ان نجاح القادة في مهماتهم امر نسبي ، فغالبا ما يتخلل تاريخهم

حيث يجعل رسالت

عثرات قد تكون بعيدة الأثر في حياة بلادهم ، وإذا نجحوا أحيانا في تحقيق نصر ما ، فانتصارهم اما مؤقت أو مقيد بناحية معينة أو في مكان خاص ، وقلما يحصل الفوز في كل نواحي الحياة .

ويمتاز الانبياء في كل ذلك بأنهم طراز من نوع خاص يفوقون به كل اوصاف العظمة والنفوق لدى الابطال والقادة ، اذ ما من عظيم أو بطل ، ولو كان عبقريا أو مفكرا مبدعا ألا وله هنات أو معاييب تنقص من قدره ، كارتكاب بعض الزلات أو الأخطاء ، أو الوقوع في كبوات فكرية ، أو السير في سلوك ثنائين في مسيرة قافلة الحياة التي يحيها .

أما الانبياء — بتكوين الله ورعايته لهم ولو قبل النبوة — فلا نجد منهم اطلاقا ما يعد كبوة فكرية أو زلة اعتقادية تصبح يوما ما مستسكا للشهامة والتعمير ، أو محلا للنقد والتشهير والتكذيب . وما قد يقع من نبي من وقائع مادية خاطئة في الظاهر قبل النبوة ، فهو لا يصدر عن تصميم وسابق اصرار وتكبر ، وانما يعد اجتهدا خاطئا أو اختيارا لأحد أمرين مأذون فيهما ، لكن أحدهما افضل من الآخر في تقدير الله الحكيم .

وكذلك نجاح الانبياء ولاسيما رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ، كان عاما وشاملا لجميع مناحي الحياة لوجود وحدة منهجية متكاملة لديهم في العقيدة والاخلاق والمعاملة الطيبة والسلوك الشريف .

وانموذج الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ولد منذ أربعة عشر قرنا وشهور ثلاثة يعتبر مثلا فذا واضحا للاستدلال بمنهج حياته قبل البعثة على صدق رسالته التي اصطفاه الله لتبليغها للناس ، وكان لذلك آثاره النفاذة في اقناع اتباعه بدعوته ، والثقة بأقواله كما سيظهر لنا من خلال الامثلة التي سنذكرها من اقوال وكلمات خصومه أو عقلاء العرب في الجاهلية عندما بدأ بدعوته .

ففي حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الميلاد الى البعثة مظهر حي يدعونا الى الثقة برسالته متمثلا ذلك في يته ، وأميته ، وكثرة تأملاته في الكون ونفوره من عادات قومه السيئة ، وشخصيته القوية ، وبسمو أخلاقه ، وتبيز سلوكه ، ورعاية الله له ، ونحو ذلك ، مما جعله يبلغ مرتبة الكمال الانساني التي لا تكون لغير نبي مرسل معصوم مصدق في ادعائه الرسالة . .

أما معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الدالة على صدق نبوته فكثيرة معروفة ومحلها بحث آخر ، من أهمها ما أيده الله به من وحى القرآن الكريم الذي نجد فيه ذلك التحدي الخالد الموجه لا لكل انسان

فحسب ، بل للإنس والجن معا للآتيان بمثله أو ببعض مثله أو بآية : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، لأنه ليس كلام بشر ، وإنما هو كلام الخالق الذي لا يضارعه أحد ، ومن أروع صفاته تأثيره العجيب في نفوس سامعيه ، واشتماله على وحدة خفية عميقة بعيدة المدى سواء في ترابط سورة أو في ضمن السورة الواحدة التي قد يذكر فيها عدة موضوعات تكمل بعضها بعضا في سبيل غاية كبرى وإن تراعت في الظاهر مفككة المعاني بعيدة عن الوحدة المنطقية لدى بعض المستشرقين السطحيين الحاقدين ، مثل كارليل وموير وأرنجن ومرجليوث ونحوهم من شـبابنا المثقف الذين اغترفوا من بؤرهم الخبيثة فصاروا كفارا أمثالهم .

فبالإضافة لهذا التأييد الحاسم الكلي من الله لرسوله بالمعجزة الخالدة التي جعلته ليس في ذروة البطولة فقط ، بل هو الرحمة الكبرى المهداة للوجود كله ، نرى في شباب النبي صلى الله عليه وسلم ومولده أمثلة الإعجاب : فقد حفظ الله له طيب المحتد ، وكرامة المنشأ والمعدن والاصل ، فقال عليه السلام عن نفسه ونسبه : « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » وكان يقول لأصحابه : « أنا عربكم ، أنا قرشي » وإبان صلى الله عليه وسلم مرة أخرى عن نفسه ودوره بالنسبة للأنبياء السابقين ، وصلته بهم بعد أن سئل عن ذلك فقال : « أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورات أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام . . . » .

وكان اليتيم وحرمانه ، وشظف العيش وقسوته ، وهواء الصحراء وخشونة عيش البادية ، رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في طفولته حيث انه فقد أباه عبد الله وهو جنين كما يقول ابن هشام ، أو هو ابن شهرين أو أكثر كما يقول أكثر العلماء ، وتوفيت أمه آمنة وهو ابن ست سنين بالآباء ، بين مكة والمدينة ، وكانت مرضعته في الصحراء حليلة السعدية ضعيفة الحال ، إلا أنها كانت تحدث أنها وجدت في رضيعها محمد منذ أخذته أى بركة . . سمعت غنمها ، وزاد لبنها وبارك الله لها في كل ما عندها ، ولكن هذا اليتيم وقسوة الحياة كان منبت أعظم الرجال ، والمثل الأعلى للعظماء والأنبياء معا .

وذلك بالرغم من كونه عليه السلام نشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب كشأن قومه الأميين الذين كانوا يجهلون عقائد الملل الأخرى ، وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة والأدب ، حتى يتيسر للوحي الإلهي الذي يلقنه تشريع السماء الكامل العادل دون أن يكون له دور أساسي في استنباط شيء بعقله ، أو إيجاد تشريع بفكره ، أو كتابة شيء بقلمه إلا ما يأتيه به الوحي : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبلطون » ، « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فامية هذا النبي لم تمنعه بواسطة الوحي من تغيير وجه الحياة رأسا على عقب ، وتلب الأمة العربية الأمية ، الى أمة تتسمن أرقى مدارج العلم والمدنية والحضارة ، بعد أن كانت

غارقة فى حياة الهمجية والخرافة والرذيلة ، أو قابعة فى اضرار الوثنية المتردية ، والمعقول المشتتة بين اصنام عدة تمثل آلهة متعددة .
ولقد أحسن البوصيرى رحمه الله تعالى ، اذ عبر عن معجزتى اليتيم والامية فقال :

كفكاف بالمعلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتاديب فى اليتيم

وتجلى عقلية النبى الشاب الكبيرة فى شدة كراهيته للأوثان ، ونفوره من عادات قومه السيئة ، وعبادة الاصنام وكثرة تأملاته وتفكيره فى الكون ، وانقطاعه للعبادة أو التحنن فى غارحراء — على فرسخين من شمال مكة — فذلك كله أكسبه دقة نظر ، وحصافة عقل ، وارهاف ذوق ، وسلامة فطرة ، وقوة غذاء للقلب والروح ، وطاقة فكرية مجردة مستقلة لهيائه لمنصب النبوة الاسمى ، ومركز الرسالة الاعلى للتبليغ عن الله شرعا دائما ، وسنة كاملة ونظاما بديعا الى آخر الدهر : جوهره الايمان بالله وحده ، وعبادة الخالق الاعظم ، ورفض الأوثان ، والكفر بالطاغوت والشرور والآثام ، واعلان هذا النداء الخالد : « يا ايها الناس قولوا : لا اله الا الله فقلحوا » .
ومن اجل تحمل اعباء الرسالة الالهية والاعداد لنشر الاصلاح العام ، كان النبى صلى الله عليه وسلم مثالا اعلى للشخصية القوية صاحبة الارادة الشديدة فصر كما صبر اولو العزم من الرسل ، وتحمل شتى الوان الاضطهاد ، والتعذيب من قومه وعشيرته ، وارتفع فوق الاحداث حتى استطاع تغيير الطبائع المعوجة ، واصلاح الاخلاق الشاذة ، واناة طرق المثل العليا ، والنهوض بامته الى مستوى اعلى ، والدفع بقومه نحو التقدم والرفعة ..

وقائد كمحمد صلى الله عليه وسلم جدير بأن يكون فى سبيل نشر دعوته مثالا غذا للانسانية ، ومحبة الآخرين والاخلاق الرفيعة ، لذا وصفه الحق تبارك وتعالى بأشرف صفة فى الانسان ، فقال عنه : « وانك لملى خلق عظيم » ووصفه الحسن بن على رضى الله عنهما بقوله : « كان الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم اشد الناس زهدا وقناعة ، ليس بمتكبر ولا متجبر ، رعوفا رحيفا ، كريما حليفا ، صادقا امينا ، شجاعا مقداما ، جامعا لكل محاسن الصفات البشرية ومكارم الاخلاق الادبية » .

وقد بوانته هذه الاخلاق الكريمة أن ترضى به معشر قریش حکما فہین یضع الحجر الاسود ، قال ابو امیة بن المغيرة المخزومی . یا معشر قریش اجعلوا بینکم فیمیا تختلفون فیه اول من یدخل من باب هذا المسجد ، یقضی بینکم فیه ، ففعلوا فکان اول داخل علیہم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما راوه قالوا : هذا الامین رضینا هذا محمد . واتصافه بلقب (الامین) کان حجة قوية ودلیلا واضحا على صدقه بادعاء الرسالة من عند الله ، كما أن اتجاره بمال خدیجة — رضى الله عنها — الى الشام وربحه الوفیر ورعيه الغنم کان دلیلا على عزة نفسه وعلو هتته ومقدرته ورقة شمائله ، وجمال نفسه مما لا یصدر الا عن شخصية خاصة یدفعها خاتم النبوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم یقول : « ما من نبی الا وقد رعى الغنم » قبل : « وانت یا رسول الله ؟ » قال : « وانا » .

وكانت رعاية الله ترعاه في حياته « أدبني ربي فأحسن تأديبي » وكان من ارهاصات نبوته ملء قلبه بالحكمة بكيفية مادية ، حدثنا عنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لنا إلا تصديق ما جاء فيها لصحة خبرها وترك ظاهرها الى الله سبحانه ، وهو حادثة شق الملكين صدر النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان طفلا صغيرا في بادية بني سعد فيها ذكره ابن هشام وتأييد ذلك مرة أخرى قبيل الاسراء فيها أخرجه مسلم^(١) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غابت بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فشق من النحر الى مراق^(٢) البطن فغسل بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا » .

هذه الالوان وغيرها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت مدعاة لقبول دعوته واثرت في مشاعر الناس ، فمهدت لتصديق رسالته ، وامارات ذلك تتضح فيما يأتي :

١ - قال الراهب بحيرى لعنه أبى طالب في بصرى الشام اثناء تجارته لخديجة : ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبيغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده ..

٢ - وقال ورقة بن نوفل حينما بدىء النبي بالوحي : لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه .

٣ - قالت خديجة بعد أن أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم ببده الوحي : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

٤ - قال رجل عائف^(٣) من لهب من ازد شنوءة حينما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغلام : على به » . فغيبه عنه عمه أبو طالب فجعل يقول : « ويلكم ردوا على الغلام الذي رأيت أنفا فوالله ليكون له شأن » .

٥ - حينما اراد النبي صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته التي ظل يدعو قومه اليها سرا ثلاث سنين خرج الى البطحاء فصعد الصفا فنادى (يا صباحاه) فاجتمعت اليه قريش فقال :

« أرايتم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا . فقال : انى نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فسخر به جماعة ، وآمن به آخرون متذكرين صفاته السامية طوال عمره الأربعين سنة فيهم ، وكان أبو جهل يقول : « انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به » .

٦ - قال كاهن جنب من مذحج بطن من اليمن لقومه حينما طلبوا منه

النظر في أمر هذا الرجل — رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكته فيكم أيها الناس قليل » .

٧ — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن بعد أن نفى نفر من قريش عن النبي صلى الله عليه وسلم صفة الكاهن والمجنون والساحر : « والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق (٤) ، وإن فرعه لجناه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل » .

٨ — قال عتبة بن ربيعة لأصحابه : « انى قد سمعتم قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصببه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .. » .

٩ — نصح النضر بن الحارث قريشا بالتدبر فقال : « يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قتلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقتلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقتلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقتلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

١٠ — قال الجندى ملك عمان عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام : « والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شيء الا كان أول تارك له ، وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الموعد ، وأشهد انه نبى » ..

وهكذا كانت مراحل حياة النبى صلى الله عليه وسلم سواء قبل البعثة أم بعدها حلقات متكاملة تتأزر عراها مؤيدة صدقه فى رسالته وانتصاره فى دعونه حتى عد أعظم الانبياء والمصلحين الدينيين نجاحا لأنه أحدث فى عصره تغييرا شاملا فى كل نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، لم يشهد له العالم نظيرا أو شبيها فى التاريخ .

(١) راجع شرح مسلم للنووى : ٢٢٢/٢ — ٢٢٦ .

(٢) وهو ما سفل من البطن ورق من جلده ..

(٣) المؤلف : الذى يتفرس فى خلقة الانسان فيخبر بما يتول حاله اليه .

(٤) العذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها ، وقوى وطالب فرعها إذا جنى .

مشاعرُ سيفه في ذكرى المولد :

يَا لَلْحَسْبِ جَلَالِ

اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، رَنَّى مُحَمَّدًا لِيرَنِي بِهِ الْعَرَبُ
وَرَنَّى الْعَرَبَ بِمُحَمَّدٍ لِيرَنِي بِهِمُ النَّاسُ

بَغْيِر دِينْ

للسيخ محمد الفزالي

أحيانا يقترب الناس في جنب الله سيئات يظهر فيها جهلهم ، واجترأؤهم عليه ، وينكشف فيها ما فاتهم من خشوع وأدب ، فيكون تعليق القرآن الكريم على هذا النوع أو العوج المنكور « وما قدروا الله حق قدره أن الله لقوى عزيز » أو ما أشبه ذلك من التعليقات التي تبرز بعد الشقة بين ما يجب لله ، وما يقع من الناس .

والنقائص في أفعال البشر كثيرة ، ولعل أخسها بعد الإساءة إلى الله ما يلقيه محمد صلى الله عليه وسلم من جماهير العرب في هذا العصر الأنكد . ! انهم ما أحسنوا إلى ترائه ، ولا قدروه حق قدره ، ولا غالوا بشرف الانتساب إليه عندما ابتلوا بالتقصير فيه !! بل وجد فيهم من يريد العيش بعيدا عن رسالته زاهدا في دعوته . .

ولما كان الله قد ربي محمدا ليربي به العرب ، وربي العرب بمحمد ليربي بهم الناس ، فإن معنى التجهم لمحمد وترائه أن العرب ينتحرون في الميدان العالمي ، وانهم يحاولون أن يناوؤا بأنفسهم في ركن من الأرض فقير من عناصر الشرف والسيادة ومقومات الحق في الدنيا والآخرة . . !!

اننى اسأل نفسي بالحاح فى هذه الايام العجاف : هل يشعر العرب بأن محمداً : مرسل للعالمين ؟ وأن هذه (العالمية) فى دعوته تفرض عليهم بعد اذ عرفوه أن يعرفوا الناس به ، وهم عندما يعرفون الناس به لن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وانما يشرحون لهم رسالته الالهية .. !!

لكن عرب اليوم لا يقدرّون محمداً قدره ، ولا يخلّفونه بأمانة فى مبادئه وتعاليمه ، ولا يحسون قبح التشبهات التى أثارها خصومه ضده ، بل هم — علما وعملا — مصدر متاعب للإسلام ونبيه الكريم ، وشاهد زور يجعل الحكم عليه لاله !! قد تقول : حسبك حسبك ، أن الناس بخير ، ومحبتهم لرسولهم فوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير احداً ، كما يحب اتباع محمد محمداً ..

وأقول لك : سوف أغضى العين عن الوفاء من المتعلمين ضلل الاستعمار الثقافى سعيهم ، وشوّه بصائرهم وأذواقهم ، مع أن وزنهم ثقل فى قيادة الأمة العربية فما قيمة الحب الرخيص الذى تكنه جماهير الدهماء ؟ انه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبة بمواطف حارة أو باردة ، وقلما تتحول الى عمل كبير وجهاد خطير ، والترجمة عن حب محمد بهذا الاسلوب فى وقت ينهب فيه ترائه امر مرفوض ، أن لم يكن ضرباً من النفاق !!

أذكر أنى ذهبت يوماً لأحد التجار كى أصلح شيئاً لى ، فاحتفى بى وقدم بعض الأشرطة ، وأفهمنى أنه أتم ما أريد بعد أن وفّيته ما أراد .. ثم شعرت أن عمله كان ناقصاً ولا أقول مفشوشاً ! فقلت : ليت ما حيا ولا رجب ، وادى ما عليه بصدق ! ماذا استفيد من تحيات لا جد معها ولا اخلاص ؟

والشأن كذلك مع اقوام قد تموج أحفال المولد النبوى بهم ، أو قد يصرخون بالصلاة على رسول الله فى أعقاب الأذان ، أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء فى تراكيبها لاغراقها فى الخيال . وقد يكون بهم تمسكا شديداً ببعض النوافل ، وهروباً تاماً من بعض الفرائض ، أو حناناً لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذى قال له الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت قدبني وفى حياتي ما قد مت لى زادا

أى حب هذا .. أن العرب لا يعرفون أى شرف كتب لجنسهم ولغتهم وأمسهم وغدهم عندما أبتمت الله محمداً منهم ، وأن التقدير الحق لهذا الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذى يواقمونه الآن ، ومنذ بدعوا يعبثون برسالة الله بينهم ..

لما أراد رب العزة أن يعلن بركته النامية ورحمته الهامية ، اختار فى كتابه العزيز عبارتين مبينتين :

الأولى : تتحدث عن هذه البركة فى مظهر القدرة التى تجمع أزمة المكون فى يده ، فيستحيل أن يغلب يوماً على أمره ، أو يشركه أحد فى ملكه ، وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير » ..

والثانية : نتحدث عن هذه البركة في صورة الرجل الذي حمل هذه الأخير الى عباده ، وتفجرت ينابيع الحكمة من بيانه وسيرته ، فكان القرآن الذي يثلوه بمشرق شعاع لا ينطفئ ، يهتدى على سناه أهمل القارات الخمس ما بقى الليل والنهار . وفي هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ان الانسان المبعوث رحمة للعالمين اشعل الامة التي ظهر في ربوعها فانطلقت لأول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل ، واستطاعت ان تؤدب جبابرة الارض الذين عاثوا في أرجائها فسادا ، وظنوا ان كبرياءهم لن يخذلهم أحد !

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صعر المعتدين ، وأعزوا جانب المستضعفين ، وكم تحتاج الدنيا في يوم الناس هذا الى هذا الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل ، وينقذوا التوحيد المهان ، ويقروا الاخوة الانسانية المنكورة . وينزلوا البيض الى منزلة السود او يرفعوا السود الى منزلة البيض ..

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين انهم ذاهلون عن المكانة التي منعمهم محمد اياها . هابطون عن المستوى الذي شدهم اليه ، وفيهم من يفتح فمه ليقول : ان العرب يمكن ان يكونوا شيئا من غير محمد !!!
تبح الله وجهك من قائل أمك ..

ومن أيام جاضى نفر من العامة متنازعون على ادارة مسجد ، بعضهم يريد في الاذان ان يقول اشهد ان سيدنا محمدا رسول الله .. والآخر يريد الاكتفاء بالوارد ، فلا يذكر لفظ سيدنا لأنه مبتدع ..

ونظرت الى أعراض المرضى الذي يفتك بالامة المعتلة ، وقلت لهم : ان محترفي الافك من المبشرين والمستشرقين ملأوا اقطار العالم بالافتراء على محمد وشخصه ودينه ، ورسوا له صورة مشوهة في اذهان الكثيرين وانتم هنا لا تزالون في هذا الغباء .

ما اشقى ديننا انتم اتباعه ، ان المسلمين بين ما ورثوا من جهل ، وما نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرغون بما لا يعرفون .. ان حب محمد يوم يكون لقباً يضفيه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له ، ولا اثر !! ويوم يكون أحقالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده ، فهو حب لا وزن له ولا اثر !! ويوم يكون قراءة لكتابه في مواكب الموت ومجالس العزاء فهو حب لا وزن له ولا اثر . ويوم يكون ادعاء تستر به الشهوات الكابسة والطباع الفلاظ فهو حب لا وزن له ولا اثر .. لان محمدا هو الرسول الذي رسم للبشر طريق التسامى الحقيقي . ورسم للجماعات طريق التلاقى على الحقائق والفضائل ، فدينه عقل يأبى الخرافة ، وقلوبه يعلو على الأهواء .

ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع الى شكل ؟ وماذا كسب العرب عندما شقوا طريقهم الى المستقبل وهم يطوون اسم محمد وقرآنه من نشاطهم السياسى والعسكرى ؟

ان مسلمى الباكستان هزمتهم سياسة امراء ذكية ماهرة ! ورجالات
العرب دوختهم سياسة عجوز شهماء ! يا للرجال بلا دين !!

.....

اننى ، والوفا من المؤمنين نحب محمدا صلى الله عليه وسلم . ونشعر
بما له فى اعناقنا من دين ، وبما اغاء علينا من نعمة ، وبما يجب أن يتوحد
له فى الدنيا من سلطان مادي وأدبى ، وبالفقر المدقع الذى يعانيه العالم
لحرمانه من الرسالة التى اضطلع بها وخلفه فى ابلاغها العرب ، فلم يحسنوا
البلاغ .

اننى الوم نفسى . والوم قومى ويتردد فى نفسى صدى قوله نعال :
« وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

.....

قال لى أحد الصالحين : اتنا نحى ربنا جل شأنه ونحن جلوس فى
صلوات اليس كذلك ؟

قلت : نعم . عقب الركوع والسجود . نهمس وايدنا على الركب
التحيات لله ..

قال : ثم نتوجه الى الرسول بالسلام بصيغة المخاطب الحاضر ، نقول
— وكأن الكلام لشخص قريب منا — : السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته .. !

قلت : أجل ، كذلك نفعل ، على بعد المكان والزمان بيننا وبين الرسول
الكريم .. !!!

قال : ان السلام أفرغ فى تلك الصيغة قصدا ، لان النبى يجب ان
يكون حيا فى ضمير كل مؤمن ، يجب أن ينتصب له مثال مرموق فى وعى
المسلم اليقظ تتحقق فيه ملامح الصورة الذاهبة !!
وهل تؤخذ الاسوة الواجبة الا من هذا الاستحضار الدائم ؟

لقد برت أعصار على موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن القيم
الرفيعة التى تجسدت فيه ونماذج العبودية لله ، والجهاد فى سبيله
والحنو على خلقه ، وصور الكمال البشرى فى العفاف والعدل والايثار
والمرحمة . تلك كلها معان لم تمت ، وانما خلدت فى كيان هذا النبى
المحمد ..

والمسلم عندما يقول فى صلواته : السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته انما يقترب من امامه الاعظم الذى امره الله ان يتأسى به . وان
يسعى فى ركابه : ؟

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيرا » ..

.....

واسترسل الرجل الصالح فى عاطفته المحتاجة ، واخذ يشرح لى
ما يعنى قال :

ان الشمس فى رائعة النهار لا تعتبر غائبة عن بصير ، وتستطيع كل
مرآة مجلوة الصفحة ان تعكس صورة لقرصها أو لهالتها أو لأشعتها ومحمد
صلى الله عليه وسلم فى عالم اليقين والخلق ، شمس لا ينكر لها بريق ولا
يغيم لها ضوء ..

والهم ان يكون لك فؤاد مصقول يستطيع استقبال هذا النور فى
حنايه . والاستهداء به فى دروب الحياة .

ان القدوة الطيبة تقوم على استحضار المثل الاعلى فى الذهن ،
ومحاولة السير على غراره فى الخارج ، والائتناس الدائم بهذا المثل الاعلى
هو الذى يلهج اللسان بعد تحية الله تبارك وتعالى بالسلام على رسوله ،
سلام « حضور » لا سلام « غيبة » ومن ثم كان كل مصل يقول : « السلام
عليك ايها النبی ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الصالحين » .

ومحمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معقد الحقائق التى
يصلح بها العالم من ازله الى ابد ، والتعاليم التى جاء بها لا يستغنى عنها
الاولون والآخرين الا اذا استغنت الاكوان عن نظام الجاذبية وسائر السنن
العامة واضطراب الحياة انما يرجع الى تجاهل الهدايات التى جاء بها
النبيون ، والتى اتمها وأجملها هذا النبی الخاتم وما يثوب الناس الى
رشددهم الا يوم يحتفون بهذه الرسالة وصاحبها ويعرفون حكم الله عن
طريقه ..

وكان حقا على العالم كله ان يصدق بهذه البعثة العامة ، ولكن العالم
تنكر لها وتطاول على رجلها الكبير .

وعندى ان الشفاعة العظمى ، التى جاءت السنن بثبوتها لرسول الله
صلى الله عليه وسلم — لا تعدو ان تكون لونا من تأديب البشر كافة على
موقفهم السابق من نبى الاسلام ، فان رسول اى عظيم يستحق من التوقير
والاعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة ، والرجل الذى أرسله رب العالمين .

كان يجب ان يلتقى من التكرمة ما يرمع ذكره ، ويعلى شأنه ، غير ان
اكثر الناس نواصوا بالصد عنه وجحد دعوته ، ورغبوا عن الحق الذى
معه ، وبخسوا قيمته ثم تتابعت الاجيال والخلف فى اغلب بقاع الارض
يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع ..

ولو نظرت في هذه الالوف المؤلفة من الكنائس والمعابد . لوجدت داخلها أجهزة منظمة دوائر تعمل في غير مثل لصراف الناس عن الاسلام ونسبة ائبح النعوت الى نبيه المبرا الشريف ..

وكان الله تبارك اسمه شاء ان يعرف هذه الامم مدى ما كانت فيه من غباوة ، وان يذيقها شيئا من مرارة الجريمة التي ارتكبتها ، فهو في ساحة العرض الشامل لاصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مسر القرون يحشرهم في صعيد واحد . ثم يكشف الغطاء عن عيونهم واذا هم يتبينون غداحة جهلهم بالله الكبير المتعال . ويتبينون شناعة خصامهم لاملهم رسله ..

وهنا يموج بعضهم في بعض . ويضطربون في حيرة مغزعة لا يرجى منها خلاص . وتتحرك جموعهم الى كل نبى سمعوا باسمه في العالم الذى انتهى . يناشدونه ان يسأل الله لهم الرحمة . ولكن النبين كلهم يرفضون التصدى لهذا المطلب ويعود اهل القارات الخمس متراكضين الى الرجل الذى ملأنا قتل لهم انه كذاب . انهم يحسون الآن عن يقين انهم اخطاوا في حق ، وانهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون انفسهم واهليهم .. !

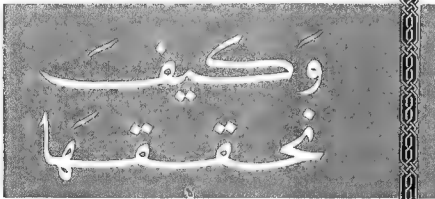
الشفاعة العظمى — في نظرى — موقف يحاكم فيه التاريخ البشرى كله . ليعترف ان انصرافه عن الاسلام كان مشاققة لله وعداء لأحب اوليائه واصدق دعائه ..

وما اوجب ان تجد الانسانية نفسها في حرج يوشك ان يقضى عليها . ثم تعلم فجأة ان التنفيس عن كرباتنا ربما تم باللجوء الى الرجل السدى عاشت دهورا . وهى تروى عنه الاكاذيب وتنسب اليه الاساطير ...

والتجاء اهل الارض الى محمد في تلك الساعة المعصية ، ولجؤوه الى الله يطلب مغفرته للعبيد الاغرار ذلك في ظنى هو المقام المحمود ، المقام الذى نسأله لمحمد عقب كل اذان يتردد صده في مهاب الريح ليستجيب له قوم وينصرف عنه آخرون « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت « محمدا » الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » ..

.....

قلت : ان محمدا في عالم العقائد والحقائق شمس وضاحة نفاحة ، لكن العبيان كثير وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بأمر الله وينقذ الناس من أهوائهم ومظالمهم ، ثم ذهب الى الرقيق الاعلى تاركا فينا تراثه الجليل ، من كتاب وسنة . فليتعلم الدعوة من حياة سيد الدعوة ان اجر الحق البذول لا يجعل في الدنيا ، وان للمقام المحمود موعدا في غير هذه الدار يتعلق به وحده الدعوة الابرار ..



للاستاذ محمد الجنبوب

ويوم الفطر (١) ومنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ان يوم الجمعة يوم عيد وفكر) (٢) وكان ذلك كافيا لالغاء كل عيد غير هذه الثلاثة التي حددها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وبات واضحا ان كل محاولة لاستحداث عيد آخر ، أو

كان مما واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته السي المدينة احتفال الناس هناك بيومين في العام فسال عنهما فأجيب « أنهم كانوا يلمبون فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى

اطلاق اسم العيد على اية مناسبة سواها ، مخالفة صريحة لحكم الشريعة . فمن أين جاء عيد المولد وعيد رأس السنة . وعشرات المناسبات التي يسميها الناس وبعض الحكومات أعياداً ؟!

ولكى نقدم الجواب الصحيح على سؤالنا هذا يجدر بنا أن نلقي نظرة واعية على أعياد الأمم السابقة للبعثة النبوية والتالية لها . وسنرى أننا عاشرنا هناك على الجذور البعيدة لكل ما أحدثه الناس من الأعياد التي لا تكاد تحصى .

١ - على تاريخ المجتمع اليوناني أعياد بعدد آلهتهم ، التي اخترعتها أساطيرهم لظواهر الطبيعة ، فجعلت لكل ظاهرة كونية آلهة أو إلهة . ولكل واحد من هؤلاء عيده وزمنه واحتفالاته المميزة عن سواها .

وفي حياة الهند الوثنية حتى اليوم أعياد لجيوع آلهتها التي تكاد تعجز الحاسب ، ولها احتفالاتها ومواكبها التي يترها حتى مثقوهم على أنها من تراث الهند ، الذي يحفظ لها شخصيتها القومية على مدار الزمن ولو هبط بالمعول إلى أدنى الدركات ! وفي سورية - الطبيعية - بقايا آثار عجيبة لألوان من هذه الاحتفالات الوثنية ، تتمثل في قلعة بعلبك وعشرات الطلول ، التي يحاول الجاهليون الجدد إحياءهم باسم (الفولكلور) الشعبي ، الذي لا غرض له في المفهوم البعيد سوى أضفاف سلطان الإسلام على نفوس الجاهل ! ...

ولم يكن شأن الجاهلية العربية في كثاف الجزيرة ثابداً عن هذا الطريق ، وإن كان اهتمامها بالآلهتها أقل حجماً ، إذ كانت وثنيها ضرباً من التقليد السطحي لا يمس ضمير الناس كثيراً ، فلم يكن لها مثل الفلسفة والأساطير التي نسجها خيال اليونان والهنود والمصريين والفينيقيين حول

آلهتهم . . ولأن ظروفهم القلقة لم توفر الجواء الصالحة للتوسع في مثل هذه الاحتفالات .

ولما انكشف الضغط الروماني عن المسيحية ، واخذت طريقها إلى العلانية بعد السرية الطويلة ، لم يستطع شعوبها التخلص من آثار وثنيهم الأولى ، ومال المسؤولون عن دعوتها إلى التساهل مع هؤلاء ، فأقروهم على الكثير من تقاليدهم الموروثة ، ثم لم يمس الا قليل من الزمن حتى تبنت مسيحية بولس الجديدة بعض أعياد الرومان نفسها ، كعيد الفصح الذي يرمز عند الرومان إلى انتشاق الحياة ، وعند اليهود إلى تذكّار خروجهم من مصر ، واتخذوه النصراني عيد لفطرمهم إذا خرجوا من صومهم وأكلوا اللحم - كذا في اللسان - وهو عندهم - في المنجد - عيد تذكّار قيامة المسيح من الموت . وحتى عيد الميلاد لم يوقت بيوم ولادة المسيح بل أخذ من أعياد الرومان أيضاً . وهكذا حلت أعياد القديسين لدى النصراني مكان أعياد الآلهة الرومانية ، حتى لم يبق قديس مشهور بغير عيد ، ثم أفرد لجموعهم عيد عام أطلق عليه اسم (عيد جميع القديسين) . . . حتى إذا وانست اليهود الحديثة اتسمت دائرة الأعياد في العالم المسيحي ، بحيث تجاوزت حدود المناسبات الدينية التي نطاق التكريات الخاصة ، فبات مألوفاً بل من الأمور الحتمية أن يحتفل كل فرد بعيد ميلاده ، وعيد ميلاد شقيقه من القديسين أيضاً ، وكما يتعاون المجتمع المسيحي على إبراز عيد ميلاد المسيح في أطار من روائع المظاهر ، هكذا يعنى الفرد المحتفى بميلاد نفسه ، فيحيط تلك المناسبة بأزهي ما يستطيع من الظواهر . .

فإذا أطلقنا على التاريخ الفرعوني نرى أساطير الأمم الجاهلية كلها تجتمع تحت أسماء محلية ، منها

يشعر بالقوة ويسوحى بالمهابة ،
ويشفل العامة بالوان الملائى التى
تشبع فضولهم ، وتروى أهواءهم ،
فتصرغهم عن التفكير بما يراد بهم
وبدينهم ! .. وما أحسب بأحدا فى
تاريخ هذه المواسم الفاطمية يستبعد
اثر اليهودية والمجوسية فى التخطيط
لها والتركيز عليها ، تحقيقا لمذسك
الفرض المنشود ، ولا سيما حين
يتذكر ما وراء الواجهة المبيدية من
القماليم السرية ، التى نمسجت فى
ظلمات المؤامرات اليهودية ، ثم مى
دهاليز المجوسية الفارسية ، سواء
فى جذورها التى وضعت فى السلمية
من سورىة - ثم امتدت الى المغرب
فمصر فديار الشام ، أو فى فروعها
الآخرى التى رسخت فيها بعد بأيدى
اليهودى الاصيل (يعقوب بن كلس)
وزير العزيز بن المعز ، ثم بأيدى حمزة
الزوزنى ، وحسين بن حيدرة الفرغانى
الآخري ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى
الذين وفدوا من فارس على الحاكم
بأمر الله فأغلوا الوهيتة لأول مرة
فى جامع عمرو ، ثم انتقل بعضهم
بهذه النحلة المجوسية اليهودية الى
بعض جبال الشام (٦) حيث لا تزال
قواعدها قائمة حتى الساعة ! ..

ولا خلاف بين المؤرخين فى كون
الفاطميين هم السابقين الى أحداث
عيد المولد النبوى منذ القرن الرابع (٧)
ومن هناك انتشر تقليد الاحتفال به
الى سائر بقاع المسلمين ، حتى اتخذ
فى بعض الدول العربية والإسلامية
يوم عطلة رسمية . وفى علمى أن
أول دولة أقرتها حديثا لبنان ، وكان
الباعث لذلك هو التنافس الطائفى ،
اذ كان النصارى يحتكرون لإعيادهم
معظم العطلات الرسمية وليس
للمسلمين سوى اثنتين الفطر
والاضحى ، ثم رأى المسلمون أن
ينافسوا مواطنهم فى الاحتفالات
بذكرى المولد النبوى مقابل حصوله
هؤلاء بميلاد المسيح ، فإذا جاء موعده

السلار الفرح ، والمحزن الترح ، ولعل
من أشهر أعياد تلك اليهود عيـد
(أوزريس) الذى يزعمون أنه قدم
نفسه قربانا لتخليص الخطاة ، على
الطريقة التى عرفت لدى الهندود
والمصينيين من قبل ، واحتلت مركزها
الآخري فى عقيدة الفداء لدى
النصارى (٣) . ولقد ظلت مصر
تحتفل بعيد النيل الى أيام الفتح
الإسلامى ، ثم عادت الى أحيائه بعد
قرون فى ظل الدولة العبيدية ...
وقد كان لهذه الدولة الشيعية
اثرها الكبير فى اختراع الأعياد ، ومن
ثم فى إذاعة بعضها فى العالم
الإسلامى .. فعيد لرأس السنة ،
وآخر ليوم غدیر خم (٤) ومثله لذكرى
عائشراء ، ثم يأتى موالد النبى صلى
الله عليه وسلم وعلى والحسن
والحسين وفاطمة و ... حتى ذكرى
خروج يوسف من السجن لم يغفلوها
من قائمة مستحذاتهم ، فجعلوا لها
عيدا ، ترفع فيه الزينات ، وتسير
المواكب وتعرض فيه التمثيليات
الشعبية التى تجبى لها الاموال من
التجار تحت سجع الدولة وبصرها
وتشجيعها (٥) .

ولا جرم أن الذى جعل الفاطميين
على استحداث هذه المواسم أمران .
أما أحدهما فهو رغبة القوم فى تغيير
ملاحج المجتمع الذى ما أنفك يحمل
طوايح الاصول الإسلامية المتحدرة من
الصدر الاول ، كما هو الشأن فى كل
حركة ثورية تستهدف فرض خصائصها
على البيئة التى تتحكم بها . وأما
الحافز الثانى فهو الماء الجماهير
الخفيفة بالمراضات التى توافق تلك
الاحتفالات ، وبخاصة فى النطاق
الرسمى ، حيث كان المكلفون أعدادها
يفتنون فى أن يوفروا لها كل وسائل
الآغراء والجاذبية ، غيظلمون مواكب
الخلافة ومسيرتها ، وطرق
استقبالاتها ، ويفرغون على كل ذلك
من مظاهر الأبهة والفضلة والترف ما

ملأوا الشوارع والأحياء بأنواع الزين وخرجوا في تظاهرات شعبية لا تخلو من الأغراض السياسية... ثم مازالوا حتى الحقوا تلك المناسبة بالاعیاد الرسمية ، وما لبث ذلك التقليد أن سرى إلى الحكومات المجاورة وما وراءها من بلاد المسلمين ...

٢ - والاحتفال بذكرى المولد النبوي لا يزال حتى اليوم موضع أخذ ورد بين المثريين والمتهيبين ، ولكل منهما حجة في موقفه . فهؤلاء يرون التزام سبيل السلف باجتناب كسل حدث لم يقره المصدر الاول ، وأولئك يتذرعون بحاجة المسلمين إلى المنبهات التي تصلهم بحياة نبيهم صلى الله عليه بين الحين والحين ، ليظلوا على ذكر منها ، دون أن يتقيد ذلك بموعود ثابت وإن كانوا يخصون يوم ولادته بالكثير والانغم من مظاهر التكريم .

والى هنا والخلاف بين الفريقين ضيق المسافة ، إذ هما متفقان على وجوب التفكير ضمن هذا النطاق ، فما دام رسول الله هو أسوة المؤمنين كان لزاما عليهم أن لا يقطعوا صلته بذكره وسيرته ، ليحققوا ما يمكنهم تحقيقه من معاني هذه الاسوة ... ولكن الاختلاف بينهما إنما ينصب على الوسيلة التي تعتمد لتنفيذ ذلك التفكير . فبينما يرى الملتزمون لسبيل السلف أن الوسيلة المشروعة شرط اساسى فى الوصول إلى الغاية المشروعة ، نرى الآخرين لا يعبأون بمشروعية الوسيلة ، بل يرتضون ، أو يستكون بالاتسل عن كل ظاهرة لا يقرها الشرع ، ولا تنسجم مع روحه ، مما يرافق في العادة هذه الاحتفالات ... التي تتحكم فيها نزوات العامة والدجالين ، ولا يتساح فيها لصلح سليم الطويلة نظيف الوسيلة أن يتعرض لها بكلمة نقد أو اصلاح ! ...

صحیح أن الاحتفال بهذه الفكري ليس سواء في بلاد المسلمين ، إذ

يقتصر في بعضها على قراءة القصة والقاء بعض الخطب النافمة - أحيانا - ثم توزيع الحلوى ، وإقامة الزينات وتعطيل الفوائر ... ولكن منكراته تتجاوز كل تصور في مواطن أخرى ، حتى لتشكل وصمة عار في حياة المجتمع الاسلامى ، وتضع في يد اعداء الاسلام امضى سلاح لتشويه وجهه المشرق الجميل ، إذ (أصبحت الموالد هناك مراتع الفسوق والفجور واسواقا تباح فيها الاعراض ، وتفتك حارم الله تعالى (٨) ولا غرابة ، لأن الشان في كل بدعة أن تبدأ خطواتها في وقار الحكماء متظاهرة بكل ما يستهوى ذوى العواطف الساذجة من الخير والاستزادة منه ، حتى اذا اطمانت إلى الانتصار واستحكم سلطانها في الصغار والكبار ، خلعت عذارها المستعار ، واندفعت إلى الفساد على رؤوس الأشهاد ، حتى لا يجرؤ على معارضتها ذو رشاد ، أجل .. أن الاتصال بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته نشأته ، ودعوته وجهاده وأثره في صحابته ، أحد الاسس التربوية التي لا مندوحة من التشبع بها والاقتراس من أشجعها لتصحيح المسيرة الاسلامية ، ولتكوين الجيل الصالح لاستئناف دعوته في المجتمع الاسلامى الحائر ، وفي العالم البشرى الضائع ولكن الطريق إلى هذا النور لن يكون أبدا في السير وراء القطيع الضريس من العامة واشباههم من الطريقيين والمرتزة .. بل في احياء سنته الصحيحة ، ونشر المطوى المجهول من أخلاقه العظيمة ، وتيسير السبل المؤدية إلى تفهم رسالته المحيية بكل الوسائل المكنة والمشروعة . ومن أجل ذلك لا مندوحة عن تنظيف الوسط الاسلامى من تلك الشنائع التي لا تزال تقترف على مشهد من كبار علماء الاسلام ، ورجال دولهم ، باسم الدين ، والحقاوة بميلاد سيد

المرسلين ... ولكن هذا الرجساء
سبب كل ما بعد التحقيق ، ما دام
المسؤولون من حكام المسلمين ، الذين
يشهدونها بأعينهم ، لا يحركون مسكنا
في مكافحتها ، بل ربما استراحوا الى
انشغال الجاهيل الممياء بها عن
الحقائق التي ضلوا سبيلها ، ولا
سيما اذا كان في استمرارها ما
يتوهمونه مصلحة لخزينة الدولة .
ولترويح اسواق المرتزقة في مواسمها
المعتادة ! .. وهو المسلك نفسه
الذي ورثه هؤلاء عن عهود الاستعمار
الذي كان من دأبه تشجيع امثال هذه
الضلالات ، بجانب مطاردته لاهل
الحق من كبار الدعاة والهداة ..

٣ - لما بعدت الشقة بين عهد
النبوّة والتابعين في العصر الاموي ،
وزالت النماذج الحية التي كانت تمثل
آثار التزينة المحمدية في شخصيات
الصحابية رضوان الله عليهم ، وجد
المسؤولون عن قيادة الامة لزاما
عليهم ان يعوضوا اجيال المسلمين عن
المثل المنظور بالخير المسموع ،
فانما لهم القصص ورواة السيرة ،
والحافظين لآخبار المغازي النبوية ،
يغفونها بتلك المعاني المحركة للهمم ،
والمثيرة لروح الفداء والتضحية ، وكان
ذلك اول تنظيم لما يسمونه اليوم
بـ (التوجيه المعنوي) في اوساط
المسكرين ، وكان له اثره العميق

في تباesk البنين الاسلامي على
الاساس الاول زما غير يسير ، حتى
ضعف هذا الاتجاه ، وخلف الجيل
الذي عرف من الثقافة الدخيلة اكثر
مما علم من شريعته الجليلة .. فاذا
الدائم تهتز ثم تهوى ، لتحل مكانها
نزوات السامسة وشهوات القادة ،
ومن هنا جاءت الطامة الكبرى ، اذ
زائل الكيان الاسلامي ، ثم لم يلبث ان
انقض بأجمعه ..

ولقد كان المعقول بازاء هذا
التدهور العام ان تنهض البقية من

اولى العزم بعبء الاصلاح على
اساس رد القطيع الضائع الى جادة
الاسلام . والطريق الى ذلك هو
ايقاظ ما همد من روح الايمان وابرار
ما اتدرس من معالم السوحى ، اذ لا
صلاح لآخر هذه الامة الا بما صلح به
اولها .. ولا ننسى ان بعض ذلك قد
حدث على ايدي المصلحين ومن تبعهم
في طريقهم السليم .. ولكن المؤسف
ان أزمة السواد الاعظم من العامة
ظلت في ايدي الجاهلين والمضللين
من اصحاب الاهواء ، الذين زادوا
الواقع السيء سوءا بما وسعوا من
ساحة المحدثات على حساب الحقائق
.. ثم نبقت من بعدهم خلوف على
شاكرتهم ، لا عمل لهم الا ترسيخ
قواعد الانحراف بما يتولونه من
مبتدعات ، يحسبونها خيرا وهي في
منظار الاسلام شر عظيم ...

وهكذا وجدنا انفسنا نحيما بعد لقاء
ركام من تلك المواريت الموقاة ، تنهض
كجدران السد بين جماهير المسلمين
والاسلام الصحيح الذي لا خلاص
الا به ... وليست تلك الاحتفالات
الشائنة ، التي تستقبل بها ذكرى
المولد النبوي ، والتي يحتشد لها
ملايين المسلمين في بعض اقطارهم ،
على تلك الصور المخجلة المدمرة ...
الا احدى المآسي التي يعانيها الاسلام
في ظل هذه الانحرافات .

لقد شوهت هذه (الموائد) في
عقول الجماهير المضللة شخصية
صاحب الرسالة صلى الله عليه
وسلم اذ حجبته عنهم حقيقة
القيادية ، واثبتت مكانها صورة غريبة
لا تمت الى واقعا العظيم بأية صلة ،
وقد زاد المحنة عمقا تلك الحكايات
المختلقة التي يقرأها بعضهم في
مجالس العامة باسم قصة المولد ، فلا
تحبل من سيرته صلى الله عليه وسلم
الا طيوفا غائمة لا تزيد عن كونها
تعميقا لمزاعم خبيثة ، توهم اولئك

المساكين بانفصال تلك الشخصية المطهرة عن كل صفات البشر... ولن انسى يوما حضرت فيه تلاوة إحدى هذه القصص في مسجد سورى ، وكان يقرؤها للناس معهم له بعض المؤلفات في الحديث ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من مفترسات الدجالين ، فيصرف الوقت كله في سر نعوت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبلها حتى يحمله عليه يكذب يعرض لشيء من أخلاقه ولا جهاده ولا رسالته... ويتخلل ذلك أناشيد تافهة لا تعدو ذلك النطاق السذى يجعله صلى الله عليه وسلم مخلوقا عجيبا لا يتكون من لحم ودم ، بل من الجواهر والمعادن ، حتى لتحدد نسب كل من هذه العناصر في تركيب جسده الشريف !!

ولا جرم أن الذين يقرؤون هذه المفتريات من أولى العلم لا يفوتهم الإحاطة بمصادرها الوثنية ، التي تصور لعامة أتباعها معبوداتهم في أشكال خارجة عن المؤلف... وفي تكوينات مزدوجة تمتزج فيها الخصائص البشرية بالمميزات الإلهية على نحو لا يقيم للمعقول أي وزن أو اعتبار!.. وهذا ما يسوغ للمكثري المؤمن القطع بأن وراء هذه الأضاليل أيديا شيطانية ، قصدت إلى إفساد التصور الإسلامي في صدور الكافة عن سابق تصميم وثيق الأحكام ، دقيق التخطيط .

٤ - ونقف هنا قليلا لنستأصل « أليس بالإمكان تعديل بعض هذه الفوضى ، التي تنتظم احتمالات جماهير المسلمين بهذه المناسبة العزيزة ، بحيث تتحول إلى مجهود اجتماعي ذي مردود صالح!.. »

إن المواسم الروحية في مثل أمتنا وبآراء ما تعانيه من اضطراب عام ، يجب أن تكون مراكز حساب وانطلاق حساب على ما أسلفنا وما أعدنا ،

وانطلاق إلى ما قررنا من هدف نوجه طاقاتنا لتحقيقه في زحام الأحداث... وإذا نحن لم تحسن استغلال هذه المواسم لتلك الغاية المزدوجة لم نخرج عن كوننا مجموعة ضحلة من الأطفال الكبار ، كل همها العثور على أية مناسبة للهو والعبث واللغو المفرغ من كل مضمون!...

ومن فضل الله على هذه الأمة أنها لم تخل قط ، حتى في أيام انحدارها خلال التاريخ ، من مفكرين جديين ارتفعوا على واقع الفوضى ، فأنقذوا من مثل هذه المناسبات مواطن يراقبون منها مسيرة أمتهم ، ويدرسون تجاربها ، على ضوء المهمة التي القاهها القدر على عاتقها ، لينبشون الفالطين ، ويوجهون المخطئين ، ويحذرون الزائغين ، ويضعون نسي أيدي الجميع المخطط السليم ، الذي من شأنه أن يصحح مسيرتهم في الطريق القويم .

وذلك هو المسلك الأمثل ، الذي لا ينبغي لأذى لب وعلم أن يغفله أو يحيد عنه في كل مناسبة إسلامية ، سواء منها ما كان حقا بنفسه ، محددا في كتاب الله أو سنة نبيه ، كالجمع والعيد والصوم والحج... أو ما كان مضافا إلى الحق ، من عمل المتريدين الذين ضاقت عقولهم عن إدراك الحكمة في تحديد الالتزامات الشرعية فراحوا يخترعون ما يحسبونه زيادة في الخير ، واجتهادا في القربات... ولا ريب أن فكري الولد النبوي واحدة من هذه المناسبات التي يمكن الانتفاع بها في إثارة الغرائم وتصحيح المفاهيم ، والاتصال بأعماق المشاعر الفطرية في قلوب الخاصة والعامة من هذه الأمة...

على أن الوصول إلى هذا الغرض متوقف على حد كبير على التزام الوسائل المشروعة فلا نحابي في الحق ، ولا نراعى في ذلك مشاعر

العامة ، رغبة فى الانتفاع بما تهيئه تلك المحدثات من فرص للتخفيف من فرقة المسلمين ، كما قال لى أحمد (كبار المشايخ) وهو يحاورنى فى موضوع بعض البدع ، اذ راح يؤكد لى انه مقر لانكارى ، ولكنه يؤثر بقاء المنكر ايثارا لما يجره من المعروف ! . وقد نسى أصلحه الله الا معروف فى منكر ، وان من لا يصلحه الحق لا يجديه كل ما فى الأرض من الباطل . ان التساهل فى امرار المحدثات — فى الدين — والسكوت عليها قد اذاب الذاتية الاسلامية لدى السواد الاعظم من المسلمين ، فتهدمت بذلك تحصيناتهم الروحية حتى اصبحوا مرتعا صالحا لآى طارئ من التقاليد الداخلية . وما نحن اولا نعيش من هذا الانهيار فى بلاد لا نكاد نعرف منه خرجا ، غاليهيبة والخفسيّة والوجودية ، الى جانب الطريقة الزائفة والانكار الهدامة ، والتقاليع الجائحة ... تقتحم كياننا المفتوح لكل غاز .. وقد اعان دعاة هذه الفاسد ما يحسونه من الانفصام الرهيب بين جماهير المسلمين ومنابع دينهم الحق ، حتى بات سوادهم فى معزل شبه تام عن كتاب الله وسنة نبيه ، واستقرأوا احكامها فى تدبير وتفاعل ، لانهم استناموا الى محض التقليد ، وبات معظمهم لا يعدو نطاق القائلين (انا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثأرهم مقتدون) .. حتى الطبقة التى تمتاز ببعض الوعى من هؤلاء المسلمين لم يعمد لديها من المناعة الخلقية ما يعصمها من الخوض فى وحول التبعية لكل من يستهوئها ببهارجه .. فمى تقتصر راضية أخلاق غير المسلمين ، وتلبس عاداتهم .. وبدافع من هذا الذوبان الشخصى تحتفل بذكرىات ميلادها على الطريقة نفسها التى يسلكونها ، فترى أحدهم يستقبل مهنتيه ، ويوقد

الشموع بعدد سنينه ، أو منى من يحتفل بميلاده من بنيه ، وقد يكون هذا الإنسان قائدا مرموقا ، يخوض بألمته معركتها الفاصلة ، فلا يشغله حرج الموقف فى بسلاذه عن التفرغ للاحتفال بعيد ميلاده ! ... بل ان بعضهم لينصبون فى بيوتهم شجرة عيد الميلاد ، محاكاة لأولئك .. ولا ينسون حتى البابا نوييل وكل مالا يخطر بالبال ، من مبتدعات الخيال ، ومفويات الأطفال ، دون أن يسألوا أنفسهم عن حكم الاسلام فى هذا التقليد الذى يلحقهم وابناءهم بغير المسلمين ، لان القاعدة الشرعية ان (من تشبه بقوم فهو منهم) .. ولكنها البفاوية التى يصورها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فى امثال هؤلاء (لتبعن سنن من تلبسكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر شيب لتبعتموهم .. (٩) ولا عجب ، فانما يسير هؤلاء القردة على آثار من سبقهم من الغافلين ، الذين ضلوا سبيل الاسوة المحمدية ، فراحوا يتبعون طرائق أهل الكتاب فى الاحتفال بموالد اوليائهم ، محاكاة لهم فى الاحتفال بموالد القديسين ! ... وتقليدا لمن تقدمهم من أمم الوثنية فى المهرجانات التى يقيمونها لموالد آلهم ! ..

وما نحن اولا نشهد سابقا فى ميدان التقليد لا نعرف له حدودا يقف عندها ، فعيد العمال — أول أيار — وعيد للام ، وآخر للطفل ، ومثلثه للثورة ، والأسرة ، والشجرة و ... ولو نحن رحنا نستقصى ما كان ويكون من هذه الفنون ، لعجزت عن تصورها الظنون .. ومع ذلك لا نعدم هذه المبتدعات مؤيدين لها باسم الدين أيضا على أنها مواسم مشروعة للإصلاح أو اللهو المباح ! . وقد نسوا أن الأعياد أعمال شرعية ليس لغير الله ورسوله تعيينها أو أحداثها ،

وفاتهم كذلك إن لو كان في هذا الإبداع من خير ما سكت عنه نبي الله ، الذي حذر أمته أشد الحذر من موافقة غير المسلمين في أعيادهم ومهارجهم ، صوناً للشخصية الإسلامية من الذوبان في غيرها . وبالتالي لو كان في اتخاذ الأعياد من ذكريات النصر والمجد صلاح لما فات الصحابة وخير القرون الحفاوة بأيام بدر والخندق وخيبر ونهاوند ودمشق وبيت المقدس ... وعشرات الإشرافات العظيمة في تاريخ الإسلام . ولكن .. قد يغفل اللبيب ، حتى يقع من الهفوات في العجيب ..! الغريب !

هـ - وأخيراً رب لا غ بعد هذا يقول « أن هذا الرجل يريد أن يصرفنا عن الحفاوة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مناسبة ، على ما يحف بها وما يعترها ، خير من الفائها ...! ولهذا وأمثاله نقول « أن العناية بذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته الطاهرة غرض عين على كل مسلم مستطيع ، لأنها الوسيلة إلى دراسة حياته ، التي هي مجال التطبيق الأسى لأخلاق القرآن وحقائق الإسلام ، وبدونها لن تتم الأسرة الحسنة ، ولن يعرف المسلم طريقه الحق .. وهي على هذا الأساس عمل مشروع ، عني به

الصحابة والتابعون ، وعندهم وصلنا . وفي سلوك منهجهم استمرار لسبيل الخير ، وتثبيت للتراث الإسلامي في ضائير الأجيال ، بيد أن الذي نريد ، وندعو إليه هو أن نسلك إلى هذه الغاية الكريمة سبيل أولئك الكرام ، الذين لم يعميونا لهذه الفكري موعداً خاصاً ، بل اعتبروها من أبواب العلم المطلوب في كل زمان .. ولجلس علم يدرس فيه شسىء من صحيح السيرة النبوية في تدبر وتفاعل أرجح في ميزان الخير من ألف موكب وألف سباط ، وألف حلقة ذكر ، من ذلك الضرب الذي لا يقرب المحتفلين من حقائق الإسلام قيد أنملة ، ولا يزودهم من معانيه العليا بأية عبرة . ولهذا نهيب بأولى الأمر في كل بلد إسلامي ممن تههم مصالح شعوبهم . أن يصادروا كل قصة للمولد كتبها الدجالون أو الجاهلون ، وأن يطهروا مجتمعاتهم الإسلامية من تلك الشوائب التي لا يرضى عنها إلا العابثون والمستفلون ...

ولكن هذه الأهابة مستظل بغير مردود حتى يتحرك لها أولو البصائر من أهل العلم المؤتمنون على دين الله ، الغير على أمتهم أن يضلهم الماكرون من أعداء الله ..

ولسوف يسألون عما كانوا يعملون .

- (١) أبو داود والنسائي والترمذي وإسناده على شرط مسلم .
- (٢) عن أبي هريرة وإسناده حسن .
- (٣) القتاتل الوثنية وأثرها ... لمحمد التتير .
- (٤) أول المحتفلين بهذه البسدة هم البويهيون عهد حمز الدولة سنة ٣٥٢ وذلك قبل عشر سنوات من ظهورها في مصر (ظهور الإسلام) ص ١٩٤ .
- (٥) (الدولة الفاطمية في مصر) ص ١٧٢
- (٦) (الوفيات) ٤٩١/٢ .
- (٧) (الدولة الفاطمية ...) ٩٦ و ٩٧ .
- (٨) في مقال نشرته مجلة (جوهر الإسلام) التونسية عدد ٩ شهر ربيع الأول ١٣٩١ ترد أحداث المولد إلى أواسط القرن السادس ، والصحيح ما ذهبنا إليه ... انظر (الإبداع ...) ص ١٢٦ و (الدولة الفاطمية في مصر) ص ١٦٢ .
- (٩) « الوعى » ما يستنكر في الاحتفال هو الوسيلة لا المبدأ كما انتهى إليه الكاتب .

التمتع

إذا ما أبجه الفكر في السموات حيث انتسب النجوم في الليل ،
وإذا ما كل البصر عما لا نهاية له من الآفاق المظلمة ، وإذا ما خست
النفس من رهبة السكون النامل — فأنك سرى بوجهك الكريم — من خلال
هذه الآفاق وبمسى بمظلمك النفس الخامسة المظلمة .

حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كأنها باسمه مسرمة ، وبحول السكون
الى نيرات مطربة نبعت من كل صوب وحينئذ ينفى النفس الحاتمة
لتقول أنت أنت الله .

وإذا كان النامل على ساطئ البحر الخضم ، وأرسل الطرف بعيدا
حيث يختلط زرعه السماء بزرعه الماء وحيث تبحر سمى الاصيل رويدا
رويدا كأنها الأبريز المسجور لضيق في هذا المسع الملح الاجاج ، وحيث
ينهادى الفلك ذات السراع الأبيض في حدود الأفق الملون باللوان الشفق
كأنها طائر يسبح في النعيم .

إذ ذاك تسمر النامل بمظلمة واسمه دونها عظمه البحر الواسع
وإذ ذاك يمر العين باطمئنان الفلك الجارى على اديم الماء المهد ، وفي
رغابه الله الصمد حيث يكون مظهر العظمه وحيث تطمئن النفس لرؤية ما
تطمئن اليه في منظر جميل .

إذ ذاك يدق الفؤاد بدقات صداها في النفس انت أنت الله .

وإذا ما انطلقت السفينة بعيدا بعيدا في البحر اللجى ، وهبت الزوابع
وسابت الرياح ، ولبد بالسحب الغضاء واكهر وجه السماء وأبرق
البرق وأرعد الرعد ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ولعبت بالسفينة
الأمواج واجهد البحار جهده وفرغ الريان من حيلة واشترفت السفينة
على الفرق وتربص الموت من كل صوب وحذب .

إذ ذاك ينق ضباؤك هذه الظلمات والمسالك ، وبحيط رافتك بهذه
الخطار والمهالك ويصل بحبال نجداتك المكروبين اليائسين . وإذا ذاك يردد
القلب : أنت أنت الله .

وإذا ما انسد السم بين احاطت به عنايه الأطباء وسهر الاوصياء ونام
بين آمال المخلصين ودعوات المحبين ، ثم ضمعت حيله الطبيب ولم ينفع وفاة
الحبيب واستحال الرجاء الى بلاء .

إذ ذاك تنجلي مسويا على عرس عظيمك والفواصي خاتمة النفوس
جازعة واليدى راجفه والقلوب واجفة لقول : أنا قضيت ويقول الطبيب
والقريب والحبيب لك الامر أنت أنت الله .

فيما يمسى النفس من مظاهر العظمه ومظاهر السممه ومظاهر
الرحمة ومظاهر الغر والقضاء ومظاهر السدوم والبفاء ومظاهر الجمال
والجلال اعناد الناس ان يصفوك بالمظيم والواسع والرحيم والقادر
والدائم والجميل والجليل واوار القلوب يردد : انت انت الله . أنت أنت
الله .

من خواطر نفس للدكتور منصور فهمي .

الطريقة الحديثة للهجوم

لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام
ثائرا انعكست عليه آمال قومه ، وإنما
كان رسولا أميناً بلغ رسالة ربه

تقوم أصول الطريقة القديمة لحرب الاسلام والتشكيك في عقائده وقواعده ، على هجوم عنيف مباشر يستهدف أبرز ما تمثل فيه هذه العقائد والقواعد ، وأبرز ما يمثل فيه ذلك كله : كتاب الله تعالى ، وشخص نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .
ويتخذ هذا الهجوم سبيلا مكشوفاً للنيل من عظمة القرآن والحط من مكانته ، كما يتخذ سبيلا مكشوفاً مثله لتشويه سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ودس النقيصة الكاذبة في حياته ! ..

طريقة عنيفة :

ألا أن هذه الطريقة استبدلت فيما بعد ، واستعاض عنها غيرها ، فقد روى بعد تجربة وطول بحث ، انتهضر بأصحابها أكثر مما تنفعهم ، فالسب والشتم واختلاق السموع والنقيصة ، كل ذلك يكشف عن حقد أربابه أكثر مما يسدل على منهجيتهم وتفكيرهم ، وما علم أن منسلها صادق الاسلام أصفى بتجرد الى الشبهة التي يسمها في حق رسوله

على الإسلام

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

رددتها كثيرا الزعيم الشيوعي الإيطالي (تولياتي) وهو يملأ وصيته الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه .

طريقة تقول : الشريعة الإسلامية عظيمة ، ومن أبرز مظاهر عظمتها أنها تقوم على قاعدة رائعة تتسع لجميع التشريعات الحديثة التي تفرضها الحضارة والعصر الحديث ألا وهي : تبدل الأحكام بتبدل الأزمان !! ..

وتقول : ليس ثمة وثيقة خلدها العرب فخلست أمجادهم أعظم من القرآن ! .. وحسب الرسول نبوغا في العقل والفكر أنه قد ترك من ورائه هذا الكتاب ! .. وتقول : لم تتم أمة بثورة فكرية

وكتاب ربه ، فهداه ذلك إلى ترك دينه الحق واتباع الشائمين غيبسا يشتبون وينتقصون ! .. بل المعروف أن كل ذلك لم يزد المسلمين إلا يقيننا بدينهم وتحفظنا من أعدائهم .

الفناء الساخر ، أو المذبح الكاذب :

لقد استبدل أقطاب الغزو الفكري إذا بطريقتهم المعتقدية طريقة جديدة مساوها ، فما هي ؟ ..

إنها طريقة الفناء الساخر ، أو المذبح الأجوف الكاذب ، طريقة تستهدف استغلال الطاقة الإسلامية بدلا من الجهد الضائع المبذول في تحطيم الطاقة الإسلامية ! .. طريقة

لقد وقف مدرس يحترف التشكيك بالاسلام وعقائده ، امام تلاميذه ذات يوم ، وراح يسألهم : ايها اليق في حق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه ابداع هذا التشريع العظيم والكتاب المعجز البليغ من فكره النافذ البصير . ام ان نقول انه ليس الا ساعي يريد حمل هذا كله الى الناس دون ان يكون له اى حكم او رأى فيه؟ قال ذلك وهو يحسب انه قد اصطاد بقوله الخادع هذا ايها الصغار وعقيدتهم . ولم يكن يتوقع بكل ما لديه من شخصية المعلم المقاتل ان يقوم اصغرهم سنا فيقول : ايها اليق واكرم بحق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ ان نقول انه كاذب ياتلك على الله ما لم يقله ولا اذن به ، ام ان نقول انه صادق امين لم ياتلك على خالق ولا كذب على مخلوق ؟! ..

لقد كان المنطق والمقياس العلمى بجانب الصغير الذى قام اسلامه على دراسة وعلم . وكان الدجل والخلل بجانب المعلم الكبير الذى قام احترامه لحرب الاسلام على مجرد شهوة نفسية فارغة .

الخدعة الكبرى :

ومع ذلك ، فان الطريقة الجديدة في حرب الاسلام ، ماضية في سبيلها ، على أمل ان دوام التلبيس على الحق قد يمزجه اخيرا بالباطل ، فلا يتبين هذا من ذاك ، وتضيع بينهما موازين المنطق والعلم .

وتؤلف الطريقة الجديدة صورة خادعة كبرى تقف عندها وتردها وتتصرف في تكرارها بكل الاساليب الممكنة ، على أمل ان تبع عقيدة المسلمين بنبوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام .

شاملة على قديهما البالى كشورة الجزيرة العربية على جاهليتها البالية ، ولم يتم في التاريخ العالمى ثأسر انعكست عليه تطلعات امته وقومه ، كمحمد العربى اذ تجسدت فيه ثورة الجزيرة العربية كلها ! .. اجل .. هذه هي الطريقة الحديثة لطريقة الثناء الساخر . والمديح الاجوف الكاذب . عسى رجل يصدق . . فتلفه النشوة . ويسكره المديح ممن لم يكن يتوقع منه المديح . . فتسترق اليد الماينة عقيدة الاسلام من قلبه . وتصوغ له في مكانها عقيدة فارغة لها من الاسلام شكله وهيكله . وليس لها من جوهره الاصل شيء ! ..

المنطق العلمى هو المعاصم السليم :

ولكن فلنتساءل : اى تسدر من النجاح احرزته هذه الطريقة الحديثة ؟

والجواب : ان اى قدر من النجاح لا يترأى في هذا السبيل الجديد ، فلئن كانت ردود الفعل هي المتصمم الواقى ضد الطريقة القديمة ، فان المنطق العلمى النير هو المعاصم السليم ضد الطريقة الحديثة .

ومن ابرز مزايا الاسلام ، انه يقوم في مبادئه الاعتقادية ، وتواعده التشريعية على موازين المنطق والمنهج العلمى ، ولذلك لم تكن مقابلة الدين بالعلم الا سخافة لا معنى لها ، في دائرة الاسلام وحكمه .

فلا الثناء الذى يهدف الى العبث بمبادئه يغر ويخدع . . ولا الحسرب المباشرة لكتابه ، او سيرة نبيه تصد عن الايمان بهما والخضوع لسلطانهما اذ كان ضياء العلم الخالص المجرد ، هو الهادى الى سبيل الاسلام ، وهو ضياء تحط دونه جميع المساعى الخادعة مهما كان لونها .

فمحمد صلى الله عليه وسلم ،
فمما ترسمه هذه الصورة ، ثائر من
هؤلاء الثوار الذين تتجسم في
أشخاصهم تطلعات أمتهم وأمتهم ،
فيغيرون سبيل التاريخ ، وينسخون
تيارا اجتماعيا بآخر ، ويقومون منهجا
من التكوين والإصلاح سرعان ما تخضع
له أممهم يشقى وسائل السلم
أو الحرب .

أنه — فمما ترسمه هذه الصورة —
ثائر يغلى دم الثورة حارا في عروقه ،
ظهر بين قومه في عهد هرمت فيه
تقاليد الجزيرة العربية من وثنية
وأوضاع اجتماعية فاسدة ، وتفتحت
فيه العقول على سخافات الشرك
وعبادة الأوثان ، وأخذت تنزع إلى
سبيل ما تتخلص به من تبعات
العقرون وآثار الماضي السحيق . وكما
هي العادة في كل أمة وعند كل
قفزة من قفزات التطور الاجتماعي —
فقد تجمعت هذه النزعات وأخذت
مثابقتها في نفس أقوى شخصية
عربية ظهرت في الجزيرة العربية على
الإطلاق ، وما هي إلا أن نضجت
لكرا ومنهجا في ذهنه ثم اشتعلت ثورة
وحاسا في نفسه ، حتى قام بدعوته
الإصلاحية التي شاعت لها الظروف
أن تلبس لبوس الدين والحكم
الإلهي !! ..

الف باء المطلق التاريخي :

وهذه الصورة تعني أن الجزيرة
العربية في العصر الجاهلي ، كانت
ترتفع رويدا رويدا عن سس خافة
الوثنية والشرك ، وتقترب شيئا فشيئا
نحو عقيدة التوحيد والقيم الإسلامية
التي جاء بها محمد عليه الصلاة
والسلام ، حتى إذا جاء زمن البعثة ،
كانت قد نضجت في النفوس والعقول
زعة التخلي عن القديم البالي واصطفاء

الفكر الديني الجديد أتم ما يكون
النضج ! .. أي أن العرب كانوا قبل
ثلاثة قرون — مثلا — من بعثة الرسول
عليه الصلاة والسلام . مستغرقين في
حماة الوثنية والشرك ، فلما طال
بهم العهد وحان وقت البعثة كانوا
قد استيقظوا إلى عقيدة التوحيد
ودبت فيهم روح الثورة على تقاليدهم
القديمة ! ..

فهل هكذا يقرر التاريخ في أبسط
الف باء التي يعرفها أطفال المدارس !! ..

أن كل من سمع باسم التاريخ
العربي يعلم أن أمر العرب والوثنية
جار على عكس ما يزعمه هؤلاء تباها
.. لقد كانوا قبل بضعة قرون من
بعثته عليه الصلاة والسلام يؤمنون
بالحنيفية السمحة التي بعث بها أبو
الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام
ولا يبتغون بعقيدة التوحيد بدلا ،
فلما تطاول عليهم الزمن ، تسلت
اليهم أفكار الوثنية من جهة الروم ،
ثم أخذت تقترب بينهم بعامل الجهل
والامية وبعد العهد ، حتى أطيقت
عليهم ظلمات الشرك ، اللهم إلا بقايا
لح كانت تظل تبرق هنا وهناك ،
فمعدنذ أكرم الله العالم ببعثة نبيه
محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج
الناس من ظلمات الشرك والكفر
ويميدهم إلى ضياء الإيمان
والتوحيد .

عمسرو بن لحى الخزاعي ، وكيف انتشرت الوثنية في الجزيرة العربية :

وايضاح ذلك — وهو شيء واضح
معلوم في جميع كتب التاريخ — أن
عمرو بن لحى بن قسمة (وهو جد
قبيلة خزاعة) خرج من مكة إلى الشام
في بعض اموره ، فلما قدم (مات)

من ارض البلقاء — رأى اهلها يعبدون الاصنام (ولم يكن العرب يعلمون اذ ذلك شيئا عن الاصنام وعبادتها ، وكانوا جميعا على فطرة التوحيد والايان بالله عز وجل) فقال لهم : ما هذه الاصنام التي اراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه آلهة نعبدها نستعبرها فتمطرونا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : افلا تعطوننى منها واحدا فأسير به الى ارض العرب فيعبدوه؟ فاعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه (١) .

وهكذا انتشرت عبادة الاوثان فى الجزيرة العربية وشاع فى اهلها الشرك ، فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيرهم ، وانتبوا الى مثل ما انتهت اليه الامم الاخرى من الضلالات والمقبات فى المعتقدات والتقاليد والاعمال . واخذت هذه المظاهر كلها تزداد ضراوة وشيوعا كلما امتد بهم الزمن ، شأن سائر الامم والشعوب عندما يفسها الجهل ، ويطول بها العهد ، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون .

بقايا ضياء قديم لا ثورة فكر جديد :

غير انه بقيت فى العرب طائفة من الناس — كانت تقل مع الزمن — ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد ، سائرة على نهج الحنيفية : تصدق بالبعث والنشور ، وتوقن بان الله يثيب المطيع ويماعب العاصى ، وتكره هذا الذى استحدثه العرب من عبادة الاوثان وضلالات الرأى والفكر . ولقد اشتهر من هذه البقية كثيرون كقثم بن ساعدة الايادى ، ورناب الشنى وبجير الراهب .

وكان هؤلاء يعيشون فى غربة وعزلة عن اقوامهم ، وكانوا يقتلون مع الزمن ، وكانوا يشسبهون فى مظهرهم وتجانى الناس عنهم وثباتهم على الحق الثابت القديم ، بقايا اطلال مهشمة لبناء خرب قديم مهجور ! ..

فلئن كان هؤلاء دعائم ثورة فكرية نشأت عند العرب وقادها محمد عليه الصلاة والسلام ، فليقد كان فى الجزيرة العربية اضعاف تلك الدعائم قبل قرن او قرنين من بعثته عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لم تقم الثورة الفكرية فى ذلك العهد ؟ .. وما الذى بطأها عن الظهور حتى تحطبت جميع دعائمها ما عدا بقايا محطة منها معزولة هنا وهناك ؟!

وبتعبير آخر : ان فكرة التوحيد والنزوع الى فضائل الحنيفية السمحة التى هى دين الانبياء جميعا ، والتى كانت تظهر على شكل بقايا ضياء قديم فى عهد البعثة المحمدية ، لم تكن تبلغ عشر معشار تلك الفكرة ذاتها قبل قرنين او ثلاثة قرون من الزمن ، واذا فقد كان المفروض — حسب تصور هؤلاء الناس لمعنى النبوة والبعثة — ان تكون بعثته عليه الصلاة والسلام قبل الزمن الذى بعث فيه بعدة قرون واجيال فلماذا لم يكن الامر كذلك ؟ ..

انها شخصية رسول ! ..

ثم أين هى حصيلة الفكر الثورى الذى تجسد فى دعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، خلال ثلاثة عشر عاما ، لم يجد خلافا من هذا الفكر الثورى الا الكيد المتواصل المطبق على دعوته وعقيدته ؟
ونعيم يحتاج هذا الانسان الثورى

— على زعم الصورة المرسومة —
الى أن يستنزل ثورته من السماء ،
وهى انها نبتت من ادمغة أصحابه
وبنى عشيرته فى الارض ؟ .. وغيم
يستعين لها بقرآن مطو ، وعقائد
غيبية بدلا من أن يستعين لها بالثورة
الفكرية التى تفلئ فى دم قسومه
وامته ؟ ..

وما حاجة هذا الانسان الثورى
— اذا — الى أن يحيى ليالى عمره
متنسكا ضارعا بالكيا يحذر الآخرة ،
ويرجو رحمة ربه ، وأن يوظف من
قلبه رقيبا دائما على جميع حركات
نفسه وسكنتها فى سبيل أن لا يلقى
الله غدا وهو عليه ساخط — .
أقول : ما حاجة هذا الانسان
الثورى الى شيء من هذا كله ، وهو
انما يتعامل برأس مال ورصيد من
فكر امته وبنى قومه ؟ ..

أشهد أن كل ذى عقل من البشر
يدرك — اذا أراد أن يصدق — انها
شخصية نبي مرسل من عند الله ،
لا شخصية زعيم ثائر يستلهم الفكر
مما عند الناس .

وأشهد أن كل ذى عقل من الناس
يعلم — اذا أراد أن يصدق — أن
محمدا عليه الصلوة والسلام جاء ليكون
حجة على هذه الامة اولها يوم القيامة ،
حتى لا يقول قائل : ما جاءنا من
نذير . فقد جاءكم النذير ، ولكنكم
أبيتُم الا أن تستقبلوا كلامه بمقول
مقلوبة وبصيرة غوراء ! ..

أيها الناس تنبهوا جيدا ، فإن مصيرنا

واحد ! ..

هذه الحقيقة التاريخية ، من الامور
الواضحة التى لا يتعثر فى فهمها
صغير ولا كبير ، فكيف يتجاهلها
— مع ذلك — أولئك الذين يحلو لهم

أن يستروا نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن العقول بهذا
الزعم الذى يناقض هذه الحقيقة
مناقضة حادة بل ينطوى على عكسها
تملأ ؟ ..

ان الذى يدعوهم الى هذا التجاهل
المجيب . انما هو العصبية ! ..
العصبية ضد الحقائق الدينية بكل
ما تستلزمه من قيم وقواعد واحكام
وتشريع ! ..

ولكن ما هى حساب اربابهم من
وراء هذه العصبية العمياء ؟ ..

ان البائع الذى يتعصب ضد السعر
الذى يفرضه المشتري ، ينبعث فى
عصبيته من الربح الذى يتوقعه
ويطمع فيه . والجماعة التى تتعصب
فى معركة الانتخابات لشخص ضد
آخر تنبثق فى عصبيتها له من آمال
المكاسب التى تعلقها عليه .

ولكن عن أى شيء ينبعث من
يتعصب ضد بلاغ رب السموات
والارض للصوفى المختسرة من
مخلوقاته ؟ ..

ان رسالة الله الى عباده من
طريق المرسلين الذين ابعتهم اليهم
واحدا اثر آخر ، يتضمن النبأ
العظيم الذى يتعلق بمصيرهم جميعا ،
ويحدد نهاياتهم المطلقة التى لا مناص
منها ، فأى معنى غير معنى الجنون
فى أن تتعصب طائفة من هؤلاء العباد
ضدها ؟ !

شخصان يسيران نفسى لمسافة
مجهولة ، انتهيا الى مفترق يقف على
نم طريقين : أحدهما ينتهى الى هلاك
لا ريب فيه ، والآخر ينذ الى الغاية
المطلوبة لها ، فهل أمامهما من سبيل
غير التعاون المطلق لمعرفة الطريق
المطلوب ، وتجنب سبيل الهلاك ،
حتى ولو كانا من قبل ذلك خصمين
متخالفين ؟ .. وهل سمع أحد من

اليه كتاب الله ، وتحملكم عليه
سنة رسول الله ، وسيروا في الطريق
التي لقي الله عليها أسلافكم ، لقد
خافوا الله تعالى مخافتهم كل شيء ،
وجعلوا همهم تحقيق مرضاته فكفاهم
الله تعالى جميع هموم الدنيا .

أما إن أبى كل صاحب رأى وهوى
الا مزيدا من العصبية لرأيه او
مصلحته وهواه ، فليعلم انه انما
يتعصب ضد ذاته هو ، والا فليرنى
ثباته الدائم على عصبية هذه ! ..
وليزل على هذه الحال الى ان يستد
منه الجسد الذاوى على فراش الموت
وتريه عيناه الملك الموكل بقبض روحه
والدنيا المطوية المنطلقة من حساب
عمره ، والمصالح العاجلة التي غرت
اذ كان يحسبها ماء غراتا ، ثم تخلت
عنه اذ رآها سرايا باطلا ووهما
مستحيلا ! ..

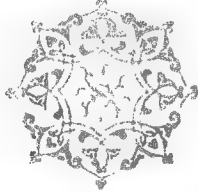
ايها الناس : اجعلوا من ذكرى
مولد رسول الله ، بمثابة عهد جديد
تبايعون به نبيكم وتصلحون به مع
ريكم ثم انطلقوا في مجاهدة صادقة
في سبيل مرضاة الله . قبل ان ينطوى
عنكم بساط العمر ، ويبدو لكم من
ورائه وادى الحسرة والندم ..
ولات ساعة مندم .

الناس ان عاقلا اجتهد في معسرفة
الطريق السليم ، فلما واجهه صاحبه
بالرأى السديد وبصره بخطئه ، أخذت
منه العصبية مأخذها ، وأبى الا
التمسك برأيه ، ثم انحط يسير في
طريق الهلاك ، حتى لقي حقه آمنا
مطمئنا ، لانه أبى التبعة لغيره ، ولم
يخضع لرأى غسير الراى الذى في
راسه ! ..

ايها الناس : اما والله ان بعثة
محمد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن
عبئا من الامر ، ولا ترسا في باب
الزعامة او الثورة او الفكر ! ..
وانما جاء ليبلغ انذار الله لمعباده
على فترة من الرسل الذين جاءوا من
قبله .

فانظروا في الكتاب النذير الذى
تركه امانة بين ايديكم ، وأمعنوا فيه
الفكر محررا من كل عصبية وغرض
وحقد ، فان الامر متعلق بمصيرنا
جميعا ، مصير هائل مخيف جدير أن
يذوب تحت سلطانه جميع معاني
المصالح الآنية والعصبية المذهبية
واللكرية .

فان رايتم أن الامر كذلك ، فاجمعوا
امركم واحزموا قواكم وانطلقوا صفا
واحدا نحو تحقيق الهدف الذى يدعوكم



محفل

في أبحاث المستشرقين الألمان

للشيخ : طه الولى

نفسه .
وفى عام ١٧١٠ ميلادية قرا
المتحدثون باللغة الالمانية « ان محمدا
لا يتعد عن التعاليم الكبرى للديانة
الحقيقية الاصيلية . وقد قام أتباعه
بنشر هذه التعاليم الى اقصى شعوب
آسيا وأفريقيا . وفى كثير من البلاد
قام الاسلام بالقضاء على المعتقدات
الوثنية التى وقفت أمام التعاليم
الصحيحة عن وحدانية الله وخلود
الروح » وكان قاتل هذا الكلام المزن
والراى الرصين هو الفيلسوف
الالمانى « لايبنتز » الذى شق أمام
أبناء جلدته من المستشرقين طريقا
مستقيما لدراسة شخصية محمد
صلى الله عليه وسلم فى ضوء العقل
والنطق وبأسلوب العالم السذى

لا بد من القول بأن المصداق
التاريخى السذى وقع بين الشرق
الاسلامى والغرب المسيحى اثناء
الحروب الصليبية قد لفت نظر
الاوروبيين الى الاهتمام بكل ما يتصل
بالدين الاسلامى لا سيما بشخص
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه
باعتباره مؤسس هذا الدين وحامل
لوائه الاول . وان شخصية الرسول
الاعظم ، عليه الصلاة والسلام
استقطبت فى جاذبيتها المبدعة أنظار
المستشرقين الالمان ، شأنهم فى ذلك
شأن غيرهم من المستشرقين الاجانب،
لان هؤلاء وأولئك وجدوا فى
دراستهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
ما يكمل دراستهم للاسلام من خلال
القرآن الكريم . فوجهوا عنايتهم الى
هذه الشخصية العظمى بنفس
الحرارة التى رافقت عنايتهم بالقرآن

يتحرى الموضوعية والانتصاف في ما يكتب عن الاسلام ورسوله .

غير المسلمين ، على انه بالفصل « رسول الله » .

ولم يلبث الطريق الذي شقه لاينفك أن وجد من يسلكه من بين الالمان ، ففي القرن الثامن عشر كتب « ليسينغ » أكبر الشعراء والنقاد في زمانه يقول :

« اننى واثق من انه بين هؤلاء الذين يرون أن الديانة « التركية » (ويعنى بها الاسلام) هي السبب ، أو هي التي تتحمل الذنب في هذا أو ذاك ، هم أقل من قرأوا القرآن .

وانه أيضا من بين الذين قرأوه لا يوجد إلا عدد قليل جدا حاول أن يعطى كلماته المعنى الصحيح . واننى واثق انه لو كان في نيتي أن أقوم بهذا العمل لاستطعت أن أعرض أهم ما في الديانة الطبيعية في القرآن بوضوح ، كما اننى اعتقد أن كل مفكر يوافقتنى على أن كل المبادئ الرئيسية في تعاليم محمد ، تنبع من الديانة الفطرية الطبيعية . »

ولم يأت القرن التاسع عشر للميلاد حتى رأينا الدكتور جوستاف فاييل يصدر دراسة كاملة تفاسول فيها المسيرة النبوية الشريفة حرص فيها على تقديم صورة يركن الى صحتها عن المرحلة الاولى لظهور الاسلام ، ومن حسن الحظ في دراسته هذه انه اعتمد على مصادر كانت افضل بكثير من تلك التي اعتمد عليها الذين كتبوا عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم من قبله . وقد انتهى فاييل من دراسته المذكورة ، الى الاقتناع بأن محمدا يمكن أن ينظر اليه من جانب

ومنذ ذلك الحين أخذ المستشرقون والادباء الالمان بدراسة النبي صلى الله عليه وسلم واحتلت هذه الدراسة مركز الصدارة في علوم الاستشراق بين الالمان . وعندما ألف الشاعر الفرنسي الكبير « فولتين » مسرحيته الضخمة « محمد النبي » سارع الادباء الالمان الى ترجمتها الى اللغة الالمانية ، وما زالت الترجمة التي وضعها الشاعر الالماني الكبير « غوته » سنة ١٨٠٠ ميلادية تعرض على المسارح الالمانية حتى اليوم .

على أن غوته لم يكتب بترجمة مسرحية فولتير عن « محمد النبي » بل انه وضع هو نفسه « الانشودة الثنائية بين علي وزوجته غاطمة التي اشتهرت بعد ذلك باسم « انشودة محمد » وفيها يصور هذا الشاعر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم على أنه « النموذج الأملى للإنسان الذي ملأ الله عليه قلبه وحياته ، وأنعم عليه وطهره وأصفاه ليؤسس الديانة الكبرى » وتدور أحداث هذه الانشودة حول النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعد في صباه يقف على ملتقى الطرق بين الأفكار الدينية المختلفة ويكافح من أجل الإيمان والاعتقاد بلأله واحد « وفيها يشبه غوته النبي صلى الله عليه وسلم بنهر عارم مطرد ، يجرف امامه كل شيء ويقتلع ما يصادفه معه ويندفع به بقوة الى الإله الأبدى .

ولقد شغلت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم شاعر المانيا الكبير غوته طوال أيام حياته . فعندما صنف كتابه « الديوان الشرقي الغربي »

لثوئية وعباده الأصنام وإيمانه الحاد
بمبدأ الإله الواحد ، وعبادة الله
بنقاء في عمل الخير » .

وفي هذا العصر بالسذات جاء
المستشرق الألماني الكبير « يوسف
فون هامر » - بورشتال »

فوضع ، حوالي سنة ١٨١٨ كتابا جمع
فيه سير الخلفاء والامراء والملوك
الكبار ونشر في نحو خمسين مقالة
تحت عنوان « أيوان الصور لحكام
المسلمين الكبار في القرون السبعة
الاولى للهجرة » وفي هذه المقالات
يعالج فون هامر سير الملوك
المشهورين في بلاد الاسلام مبتدئا
بمسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه
وسلم الذي قال فيه :

« يجب أن نتمسك بوجهة نظير
أن محمدا لم تكن تدفعه مجرد تلك
الفكرة العظيمة وحدها ، فكرة اخراج
تومه من ضلال تعدد الالهة ، وهداية
هؤلاء القوم الى الصراط المستقيم
وامادتهم الى الايمان بالاله الواحد
بل أنه كان يتلكه أيضا شعور ديني
حي . واقتناع ذاتي بالوحي الالهي
الذي ينزل به الروح الامين على قلبه
وكان على ايمان عميق ، شأنه في
ذلك ، شأن سابقينه من الانبياء
الآخرين بأنه ارادة السماء بأخذ امته
في طريق الهدى والصراط المستقيم ،
أنه واحد من مؤسسي الاديان الثلاثة
الكبرى التي نشأت في مصر وسورية
والجزيرة العربية ، وانتشرت في
سطح الكرة الارضية بكاملها ، وهو
خاتم النبيين . »

ولفون هامر كتب أخرى في
الاسلام والنبي محمد صلى الله عليه
وسلم من ذلك القصد الثمينة التي

كانه ضمن هذا الديوان أكثر من
اثنى عشرة قصيدة تدور كلها حول
محمد وتعاليمه ودعوته الدينية .

والى جانب غوته نجد شاعرة
المانيّة أخرى تتناول بقصائدها
شخصية النبي محمد صلى الله عليه
وسلم في كتابين صدر أولهما سنة
١٨٠٤ تحت عنوان « حلم محمد في
الصحراء » والثاني صدر في سنة
١٨٠٥ تحت عنوان « محمد ، نبي
مكة » على أن هذه الشاعرة قدمت
النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
الناسك الزاهد متأثرة بما علق في
ذهنها من حياة الزهاد والنسك
النصارى . الأمر الذي أدى الى
غشيلها في اجتذاب الجمهور الى
الاهتمام بعملها .

وفي سنة ١٨١٥ جعل الشاعر
براون مسرحيته التي كتبها بأسلوب
كلاسيكي ، تحت عنوان « وفاة
محمد » وقد صور فيها هذا الشاعر
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
بتأثير بفعل السم الذي وضعته له
في طعامه إحدى النساء من الكفار .
وقد اعتمد براون في ذلك على بعض
الاقوال القديمة التي تزعم بأن النبي
صلى الله عليه وسلم قد توفي مفعلا
بالسم ، مع العلم بأن هذه الاقوال
لا ترتقى الى درجة اليقين التاريخي .

وفي غضون القرن التاسع عشر
تضاف عدد الألمان السذجين مرقوا
بدراسة الاسلام بصورة غامضة
وبالكتابة عن شخصية النبي عليه
الصلاة والسلام بصورة خاصة .
فنجد باعث الحركة الأدبية في هذا
القرن يقول :

« إن الدافع في مجرى حياة محمد
التبوية ، كان نفوره وبغضه التام

نظمها سنة ١٨٠٦ تحت عنوان « نفي الجهاد » وصور فيها النبي الكريم داعية عظيما للجهاد في سبيل الله .

وفي سنة ١٨٢٣ نذب هامر نفسه للرد على ما جاء في مسرحية فولتير من تهجمات على شخصية النبي عليه السلام فالف كتابا تحت عنوان « محمد او محاصرة مكة » تحدث فيه عن فتح النبي صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة .

وقد ادت حركة النقد التي تعرضت لها الديانة المسيحية في القرن التاسع عشر الى الاهتمام الزائد بالاسلام ومناصب رسالته . فالف « دوامر » في سنة ١٨٤٨ ديوانا اسماء « محمد واعماله » حاول فيه المقارنة بين كبرياء المسيحية وترفعها الروحي وبين بساطة الاسلام ويسره واتفاقه مع الطبيعة السمحة . وتوالى في هذه الفترة المؤلفون الالمان الذين تناولوا بالكتابة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام من ذلك (« دولر » الذي كتب « قصصا تاريخية » ونشرها في سنة ١٨٤٤ تحدث في هذه القصص عن نشأة محمد عليه الصلاة والسلام وتطوره حتى مرحلة النبوة وذلك بأسلوب رومانتيكي جذاب . وكذلك اصدر كل من الكاتبين شامبايتن وفون دير بفوردين ، كتابا وقتنا فيها موقفا ايجابيا مؤيدا للنبي العربي الكريم .

ولم يقف اهتمام المستشرقين الالمان عند تأليف الكتب في هذا الصدد ، بل ان بعضهم عمد الى نشر ما ألف في القصة العربية من كتب السيرة النبوية الطاهرة كما فعل المستشرق الالماني فرديناند ستنفيلد الذي

اصدر سنة ١٨٦٠ سيرة ابن هشام بنصها العربي ثم قفى عليه المستشرق « فايل » سنة ١٩٦٤ بترجمة هذا الكتاب التاريخي الهام من العربية الى اللغة الالمانية .

اما المستشرق الالماني الكبير تيودور نولدكه فانه اصدر كتابا قائما بذاته تناول فيه شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته وأطوار حياته تحت عنوان :

« حياة النبي محمد » كما شارك في الاشراف على طبع « تاريخ الطبري » وترجمته الى الالمانية .

ويقول نولدكه في كتابه السذي وضعه عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

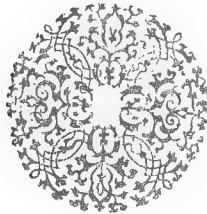
« اتنا لكى نصدر حكما صحيحا وعادلا على محمد ، يجب أن لا نتأمله فقط في حياته كنبى وداع وحاكم ، بل نتأمله أيضا في حياته ومعاملاته مع اتباعه وأصدقائه ، وفي حياته اليومية . فان عددا لا يحصى من الشواهد والادلة الصادقة يبرز صورته في ضوء بهيج . أما ما يقال عن أخطائه فانه يجب على المرء أن يعرف انها لم تكن أخطاؤه هو ، بل هي الى أكبر حد أخطاء عصره وشعبه . وانه كان يملك انبل الخلق والايمان برسالته في العودة بالناس الى الدين الصحيح ينجيهم من المذابح المقيم ويمكنهم من نعيم السماء » .

وهكذا ، فلقد توالى بعد ذلك اهتمام المستشرقين الالمان بهذا النوع من الدراسات التي وجدت اهتماما ملحوظا في ألمانيا بصورة خاصة ، حيث لم يعد محمد صلى

الله عليه وسلم في نظرسر العلماء
الإلمان من المعنيين. بالدراسات
الإسلامية ، مجرد وثن أسطوري
يعبده المسلمون الأغبياء ولا نبيا كاذبا
خداعا يضل الناس من جادة الحق
والمصواب ، كما كان يصوره اجبار
الكنيسة والدائرون في ملكها المقزمت
سابقا ، بل أصبح النبي عليه الصلاة
والسلام في نظرسر الالمان ، انسانا
جديرا بكل احترام وتبجيل
« لانه جاء بدين ينطسروى
على اجسود الآراء واحسفنفا »
كما كان يقول المستشرق الالمانى
المقديم « غ » بوستل وهو يعظ الناس
المثالبين حولته عند جسر رياتسو .
بالبندية في اواسط القرن السادس
عشر للميلاد ..
واننا لتجد في مؤسسات الابحاث
الإسلامية المنتشرة اليوم في طول
البلاد الالمانية وعرضها العديد من
الدراسات المفيدة سواء في حياة

النبي صلى الله عليه وسلم شخصيا
أم في سيرة صحابته الكرام رضوان
الله تعالى عليهم ، وأخسر هذه
الدراسات كما يقول الدكتور البرت
ديتريش في كتابه « الدراسات
العربية في المانيا » أخسر هذه
الدراسات هو الكتاب الذى ألفه
الدكتور رودى باريت تحت عنوان
« محمد والقرآن » ..

ويحسن بنا أن نختم هذا الحديث
بالإشارة الى أن « كل الأعمال
الأدبية التى قامت في المانيا مع
غوته وبعده حول شخص النبي صلى
الله عليه وسلم ، حاولت وبذلت
جهدا لكي تقدم صورة صادقة عنه
بقدر إمكانها ، وأن تقرب هذه الصورة
بقوة الى القارئ الالمانى ، وانها
جميعها تقرر وتعترف عن قناعة وتجرد :
« بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو
نور الله الدامى الى الحق والهدى » .



مائدة الفارسية

« جمل رزقى تحت ظل رمحى ، وجمل الذلة والصفار
على من خالف أمرى » .
(رواه البخارى)

زوجات الرسول

- ١ - خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .
- ٢ - سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية رضى الله عنها .
- ٣ - عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها .
- ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها .
- ٥ - زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها .
- ٦ - هند أم سلمة بنت أبى أمية المخزومية رضى الله عنها .
- ٧ - جويرية بنت الحارث رضى الله عنها .
- ٨ - صفية بنت حيى بن أخطب وهى من ثرية هارون عليه السلام . رضى الله عنها .
- ٩ - أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها .
- ١٠ - ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها .
- ١١ - زينب بنت عبد الله المعروفة بأم المساكين رضى الله عنها ، وقد توفيت والسيدة خديجة فى حياته صلى الله عليه وسلم .

مراتب الوحي

- ١ - الرؤيا الصادقة ، وكانت مبداً وحيه صلى الله عليه وسلم .
- ٢ - ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه .
- ٣ - كان الملك يتمثل له رجلاً يخاطبه حتى يحفظ عنه ما يقول .
- ٤ - كان الملك يأتيه فى مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه .
- ٥ - كان يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيبوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه .
- ٦ - ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من معرض الصلوات وغيرها .
- ٧ - كلام الله له بلا وساطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران .

حاضنات النبي

أمه آمنة بنت وهب ، وثوية ، وحليمة والششاء ابنتها ، وأم أيمن بركة الحبشية .

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار
 رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من
 الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود » .
 (قرآن كريم)

كتاب النبي

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى
 والزبير وعامر بن فهيرة ، وعمر بن
 العاص وأبي بن كعب ، وعبد الله بن
 الأرقم ، وثابت بن قيس ، وحظلة
 ابن الربيع الأسدي ، والمنيرة بن
 شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وخالد
 ابن الوليد ، وخالد بن سعيد بن
 العاص ، وقيل أن أول من كتب له
 معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت .

مؤلفو الرسول

كانوا أربعة ، اثنان بالمدينة . بلال
 ابن أبي رباح وهو أول من أذن لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن
 أم مكتوم القرشي العامري الأعمى .
 وأذن له بقاء سعد القرط مولى عمار
 ابن ياسر ، وأذن له بمكة أبو مخذرة
 واسمه أوس بن المغيرة الجمحي .

كلم النبي

- ١ - أنس بن مالك ، وكان على
 حوائجه .
- ٢ - عبد الله بن مسعود صاحب
 نعله وسواكه . .
- ٣ - عقبة بن عامر الجهني صاحب
 بغلته .
- ٤ - أسلم بن شريك صاحب
 راحلته .
- ٥ - بلال بن رباح .
- ٦ - أبو ذر الغفاري .
- ٧ - أيمن بن عبيد وكان على
 مطهرته وحاجته .

أولاد النبي

القاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم
 أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله ،
 وكلهم من السيدة خديجة .
 ثم ولد له إبراهيم بالمدينة - من
 السيدة مارية .

أعيان النبي

حمزة بن عبد المطلب ، والعباس ،
 وأبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو
 لهب واسمه عبد العزى ، والزبير ،
 وعبد الكعبة ، والمقوم ، وضرار ،
 وقتب ، والمغيرة ولقبه حجل ، والميداق
 واسمه مصعب .
 ولم يسلم منهم إلا حمزة والعباس .
 وأسنان أعماه الحارث ، وأصفرهم
 العباس .

سلاح النبي

كان له صلى الله عليه وسلم تسعة
 أسياف وهي :
 ما ثور ، والعضب ، وذو الفقار ،
 والقلعي ، والبئسار ، والخنف ،
 والدسوب ، والمخزم ، والتضبيب .
 وكانت له سبعة أدرع وهي :
 ذات الفضول ، وذات الوشاح ،
 وذات الحواشي ، والسعدية ، ومضة
 والبراء ، والخرنق .

مؤلفات محمد بن عبد الله

مؤلفته

محمد بن عبد الله

- ١ -

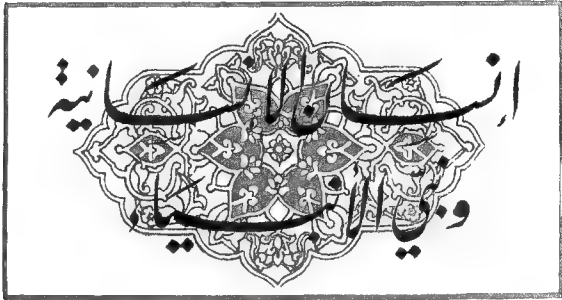
فى كل كائن عنصر يندس فى كيانه ، ويضمر فى وجوده .. هذا العنصر هو سر بقاءه ، وحافظ نظايه ، وروح ذاتيته ، ومختصر حقيقته ؛ سواء فى هذا ما كان من عوالم السماء - أو عالم الارض .. ابتداء من الهباء والذرة ، الى النجم ، والمجرة ، ومن الانسان نسي شخصه الى الانسانية كلها فى امتداد زمانها ومكانها ..

فالكائن الحى - مثلا - حين يكشف عن سره - ويصرح عن مكنونه - نراه يعرض فى معرض الحياة وجوده كله مختصرا فى مولود من مواليده . أو فى آية من آيات خلقه وابداعه ..

فاذا وقف بنا النظر عند شاعر مثلا ، رأيناه مشخضا فى مرآة ديوان شعره ، الذى يضم قصائده ومقطعاته ، ثم رأيناه فى صورة أدق وأوضح فى قصيدة أو مقطوعة ، هى عين شعره ، وقيمة درره . ثم رأيناه آخر الامر مجسدا فى بيت ، هو بيت التصيد كله ، فى ديوان شعره !!

ويؤدى بنا هذا الى القول بأن فى كل أمة - من عالم الانسان - أو الانعام ، والدواب ، والطير ، وليدها وبيت قصيدها ، الذى تتبثل فيه كل وجودها ، وتستشعر منه نبض حياتها ، وتتلقى عنه - حاضرا أو غائبا - مثلها الأعلى الذى يرادو أحلامها ، وتدور فى غلكه آمالها ..

فاذا كان ذلك كذلك فى الكائنات الحية ، فانه فى الكائن الانسان اصرح وأوضح ، سواء ذلك فى ذات الانسان الفرد ، أو فى محيط الاسرة والقبيلة ، أو فى دائرة الشعب والأمة .. حيث لا تخلو أمة من الامم ، أو شعب من الشعوب ، من مولودها الذى تجتمع فيه خصائصها ، وتتخلق فى كيانه عناصر تكوينها المادى والروحى والعقلى جميعا .. وفى الامة اليونانية « أرسطو » وفى الامة الانجليزية « شكسبير » وفى قديم الامة الهندية « بوذا » وفى حديثها « غاندى » .. وهكذا ..



للاستاذ عبد الكريم الخطيب

وطبيعي أن يقول من هذا المنطق الذي تحكم به الطبيعة كائناتها . أن يولد في الإنسانية المولود الذي يكون قبة الجنس البشري كله ، حيث ينتهي إليه كمالها ، وتستوفى به غاية حظها ، فيها تحلم به من سمو ، وفيها تنزع إليه من كمال ورفي . . . واحسب أن هذه حقيقة لا يباري فيها كثير من الناس ، فإن يكن ثمة افتراء أو خلاف ، فهو في هذا الإنسان : من يكون ؟ ومن تكون الأمة التي ولدته ؟ وما الطرف الزماني الذي ظهر في كوكبه ، ولع في أفقه نجمه ؟

— ٢ —

والأمة الإسلامية على إيمان واجماع بأن « محمدا » النبي العربي ، الذي ولدته الأمة العربية في مكة البلد الحرام ، وعلى بضع خطوات من البيت الحرام — أول بيت لله وضع للناس على هذه الأرض — الأمة الإسلامية ، على إيمان واجماع بأن « محمدا » هذا ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، العربي ، القرشي ، هو مولود الإنسانية ، الذي حملته في ضميرها ، وغذته بهجاجة وجدانها ، وعصارة عقلها ، وتنقلت به عبر الأجيال والأزمان ، على امتداد حياتها الضاربة في أعماق الزمن ، حتى جاءها المخاض به في اليوم الموعود ، والمكان المشهود ، فأخذها منه ما يأخذ الأمهات لحظة الولادة ، وما يسرى في كيانها من مشاعر الرهبة والخوف ، وخفقات الرجاء والامل . . . وهكذا تنازع الوجود كله لحظة هذا الميلاد ، ومن بين يديه ومن خلفه ، رهب ورغب . . . فرجفت قلوب ، وخفقت قلوب ، وغامت وجوه ، واسفرت وجوه . . . وكان صباح ، وكان مساء ، وإذا بين يدي الناس في كل أفق شاهد مبين ، من هذا النبأ العظيم !!

فاذا تحدثت اخبار السيرة النبوية عن ميلاد الرسول الكريم ، وما واكب هذا الميلاد من ارهاصات تنبئ عن امر عظيم قد وقع ، او هو وشيك الوقوع ، من شأنه ان يتغير به وجه الحياة كلها ، وتحول به كثير من لحوال الناس في المشارق والمغارب — اذا تحدثت كتب السيرة عن كثير او قليل من تلك الارهاصات التي واكبت مولد النبي ، فليس ذلك بمنكور ان يحدث كله ، او بعضه ، على صورة مطابقة ، او مقاربة لما تحدثت به هذه الكتب ، وما صورته تلك المرويات !

مغير مستبعد ان يكون قد حدث في زمن الميلاد ما تحدثت به كتب السيرة النبوية ، من تصدع ايوان كسرى ، وضمود نار فارس . وذهاب ماء سادي ، وغير ذلك مما قل او كثر ، من هذه الاخبار التي تضاف الى عوالم الجباد ، فلا يحمل ذلك على محمل الخيال الشعري ، او الحساس الماطفي ، فان ذلك الا يكن قد حدث كله او بعضه على الصورة التي تحدثت بها كتب السيرة ، فانه جدير ان يحدث ، ان لم يكن في اعراض هذه الكائنات وهيوالاتها ، غنى صميم جوهرها وحقيقتها !!

واذا صح ان يقع مثل هذا في عالم الجباد من ذلك النبا العظيم ، فان وقوعه في وجدان الناس ، وفي شعورهم ، وعلى مسرح احلامهم ، ومسبح رؤاهم ، امر ينبغى التسليم به ، وترك المارة والجدل فيه . . ! ان في النفس البشرية ، قوى استطلاعية متخفية ، لا يملك الانسان سلطانا عليها ، فلا تستجيب لاستدعائه . . وانما هي في ذات الانسان سلطان لا سلطان عليه ، تظهر حين تشاء ، وتعطى كيف تشاء ، ومتى تشاء !

هذه القوة المندسة في أعماق الانسان يجد كل انسان بعض آثارها في حياته ، على اختلاف هذه الآثار ، كثرة وقلة ، وقوة وضعف ، ووضوح وخفاء . .

ولو رصد الانسان — اى انسان — معطيات هذه القوة الكامنة فيه ، لوجد فيها اسراراً عجيبة ، تحار لها العقول ، وتعجز عن تأويل اسرارها الانهام . .

فكم من مرة يلقي في روع الانسان ان امراً ما قد وقع او سيقع على صفة ما ، ثم يقع على تلك الصفة التي استشعرها هذا الانسان استشعاراً ، وتظناها تظنيا ، دون ان يكون بين يديه شاهد منها ، او نبأ منها !

وكم من مرة ترسم في مخيلة الانسان صورة لشخص ما ، من غير ان يكون له في تلك اللحظة ، مكان في خاطره ، او مدار في تفكيره ، ثم اذا بهذا الشخص يطلع عليه ، على غير انتظار ، او توقع ؟

وكم وكم من هذه الرؤى في اليقظة او في المنام يراها الانسان رأى العين ، او يجد مسها في خفقات قلبه ، او مسارب تفكيره ، او خطرات نفسه ؟

ثم ان لهذه القوى الاستطلاعية فترات تستيقظ فيها ، فيكثر تحديثها الى الانسان ، ويعلو صوتها الخفيض بين جوانحه ، كما ان لها فترات تخمد فيها جذوتها ، ويغتر نشاطها ، ويخرس لسانها . .

وللأحداث ذات الأثر التي تنتظر الإنسان في خاصة نفسه ، أو تنتظره مع الناس — في دائرة تضيق أو تتسع — لهذه الأحداث المقبلة أثرها في تحريك هذه القوة الاستطلاعية في الإنسان . وفي انبعاثها من مكانها ، لتؤدي وظيفتها في الوقت المناسب . كدعوة للإنسان بالتغيير والاستعداد ، للقاء هذا الطارق الذي يوشك أن يدخل من غير استئذان . . . فإذا كانت الأحداث ذات طابع ثوري حاد ، تنقلب به الأوضاع القائمة في الحياة ، ويتحول به سير الأمور على غير الوجهة التي هي عليها — كان ذلك مما يهيج هذه القوة الكامنة في الناس ، ويحرضها تحريضا قويا على تشييم بروق هذه الأحداث ، وتتنسم ارواحها . وتفتح خياشيمها على مهايبها ، فتلقها قبل أن تولد في الواقع الذي يعيش فيه الناس . وتكشف عن وجهها قبل أن تقع عليها عين ، أو تلمسها يد !

وفي القرآن الكريم مثل واضح لهذا ، وهو ما كان من رؤيا فرعون التي جاءت في قوله تعالى : « وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر واخر يابسات » . . . فلقد رأى فرعون في هذه الرؤيا أن أمرا خطيرا سيقع ، ولكنه لم يدرك هو ، ولا الملأ من حوله ، تأويل هذه الرؤيا ، حتى كان يوسف — عليه السلام — هو الذي عرف دلالة هذا الحلم ، ودل على تأويله . . .

وحلم فرعون هذا ، ليس الا ارهاصا بالأحداث التي كانت ستستقبلها مصر ، ويتأثر بها أهلها . . . وإذا كان فرعون هو القائم يومئذ على أمر البلاد والعباد ، فإن ما يطرقه من تلك الأحداث المقبلة أكثر مما يطرق غيره من الناس ، ولهذا وقع في نفسه هذا الاحساس الخفي ، الذي تحول الى حلم في المنام ، ثم الى خبر في تأويل يوسف له ، ثم الى واقع غيبا جاءت به الأيام ، بعد سبع سنين !!

ولك أن تسمى هذه القوة ، حاسة غير الحواس الخمس المعروفة ، خفية ، مهمتها أن تستقبل — أحيانا ، وليس في كل حين — ما لا تستطيع الحواس المعروفة استقباله من انباء وأحداث مقبلة . . . ففي المراسد — مثلا — أجهزة تنبئ عن العاصفة قبل أن تجيء ، وعن الهزات الأرضية قبل أن تقع في حواس الناس . . . انها في هذه الاحوال لا تخلق العاصفة ، ولا تصنع الهزات ، وانما كل ما في الأمر ، انها ادق حسا ، واسرع واسبق تأثرا من تلك الأجهزة الكائنة في الإنسان . . . وعملها هنا اثنه بالسبق. الصحفي في عمل الصحافة اليوم !!

— ٤ —

نقول ان الأحداث اذا كانت ذات طابع ثوري في الحياة ، هيئت هذه القوة الاستطلاعية الكامنة في الناس ، ودعتها اليها ، فرات ما لا يرى الناس ، وعرفت ما لا يعرفون . ثم عادت وألقت الى الناس بانباء وأخبار ، يعجبون لها ، ويدهشون منها ، ويفتقون بين مصدق ومكذب لها ، حتى تطلع عليهم من قريب أو بعيد . . . والنبوة أمر عظيم ، وحدث جليل ، قلما تشهد الحياة مثيلا له ، الا حين يظهر نبي ، وتظهر في الحياة دلائل نبوته . . . فحين يظهر نبي يكون ان النبوة صلة مباشرة بين السماء والارض . . .

معناه أن السماء قد صافحت الأرض ، أو أن الأرض قد صافحت السماء على يد إنسان من الناس ، اصطفاه الله تعالى لرسالته .. إنسان يتناول من عالم الحق بعض ما فيه من رحمة . وهدى . ونور . لياخذ الناس من بين يديه حظهم من الرحمة والهدى والنور ..

- ٦ -

ونبوة « محمد » - صلوات الله وسلامه عليه - آية الآيات في النبوات، ومجتمع أنوار الرسالات، ولها من الآثار في الحياة ما يربو على ما تفرق في النبوات والرسالات من آثار في المجتمع الإنساني كله .. أنها ليست لشعب ، أو قبيلة . أو بلدة . كما كان الشأن في الرسالات السابقة . وليست لجبل أو جبلين أو ثلاثة على نحو ما سبقنا من رسالات الرسل ، وإنما هي للإنسانية كلها . وللأجيال جميعها . منذ ظهورها إلى أن ينتهي دور الإنسانية على هذه الأرض ..

فليس عجيباً أنه إذا آن أو ان هذه النبوة وأظل زمانها أن يكون لها هذا الدوى العظيم في كيان تلك القوى الاستطلاعية الكامنة في الناس ، ذلك الدوى الذي يكاد يحيل هذه القوى إلى كائنات حية ، تحدث الناس عن استطلاعاتها بلسان قوى مبين ..

وقد حدث هذا أو ما يقاربه حين بدأت الخيوط الأولى من أضواء الفجر تظهر في آفاق الجزيرة العربية ، مؤذنة بمطلع شمس النبوة المحمدية ، بعد هذا الفجر الوليد !

فلقد استيقظت في الناس قوى روحية تتلمس مواقع هذا النور . وتتهدى إليه ، واتقدت في صدور كثير منهم شرارة الإيمان ، فلم يستطيعوا معها صبرا على معتقداتهم الفاسدة التي وجدوا ريحها العفن . حين طلعت عليهم أنسام النبوة ، واستطابوا شميمها الزكي العطر ! وتسجل صف التاريخ لهذه الفترة التي قامت بين يدي النبوة . انباء وأحداث كثيرة مستفيضة ، من الظواهر والخوارق التي ازدحم بها زمان تلك الفترة ومكانها ، حتى بلغت حدا من الكثرة والغرابة دعا بعض الناس إلى إنكارها ، وتكذيبها جلة وتفصيلا ، كما دعا بعضا آخر إلى قبول بعضها ، والتوقف عند بعض ، وإنكار بعض ..

والذي نراه في هذه الأخبار ، ونكاد نقطع به ، هو أن الأصول التي بنيت عليها تلك الأخبار ، أصول صحيحة سليمة ، فإن ظهور النبي ، بل خاتم الأنبياء لا يمكن أن يقع دون أن يقوم بين يدي موكبه من يعلن في الناس نبأه ، ويفسح الطريق لجلال هذا الموكب الجليل المهيّب !

فهذه الأحداث التي وقعت ، وتلك الأخبار التي تروى عن الذين شاهدوا أنوار النبوة قبل أن تبرز ، وشاموا مخاليلها قبل أن تظهر - هي أحداث وأخبار ، تستند - كما قلنا - إلى أصول صحيحة ، وتقوم على واقع مشهود لا شك فيه . ولكن الذي يؤخذ على الرويات من تلك الأحداث والأخبار ، هو ما دخل عليها من إضافات ، وما اتصل بها ، وأضيف إليها من مخولات ، أملتها عواطف ساذجة ، أو استجلبتها خيالات مريضة ، عن نيات حسنة ، أو رمى بها مكر مكر ، أو كيد كائد ، يريد بذلك أفساد تلك الصورة المشرقة بهذه الألوان الصارخة المنكرة التي التفت عليها ..

وليس يعنيها نحن المسلمين ، اتباع محمد ، أن تصدق هذه الرويات جميعها ، أو لا تصدق ، فانها ان صحت لا ترفع من مقام النبي الذي رفعه الله تعالى اليه ، والذي ليس فوقه ، أو على مساماته مقام لبشر ، وان لم تصح فانها لا تنال من هذا المقام ، ولا تنقص من ميزانه مثقال ذرة .. ذلك أن هذه الارهاصات ليست من جوهر النبوة ، ولا من ذاتية النبي ، وانها لا تعدو أن تكون نسيات مرت على روض ، غاصبت شيئا من شذا أرهاره ، وطيب وروده ، دون أن يتأثر الروض في بهائه ، وجلاله ، وجماله ، بزيادة أو نقص ..

فاذا نظر ناظر في كتب السيرة النبوية ، سواء المبالغ منها والمقتصد ، فيما يروى من أحداث وخوارق واكبت مطلع النبوة ، واستعملت مع انبثاق فجرها ، فلا عليه أن يقبل ما يقبل ، أو يرفض ما يرفض منها ، على أن يكون حسابه قائما أبداً على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ، وأن ما كساه الله تعالى به من حلل الجلال والكمال ، لا يجاوز به حدود البشرية في أعلى مقاماتها ، وأرفع منازلها ..

- ٨ -

وندع حديث الخوارق والارهاصات ، دون أن نقيم حساباً لما صحح منها وما لم يصح ، ولنقم نظرننا على هذا الوليد الذي ولد لأمنة بنت وهب ، في هذا البيت المتواضع المجاور لبيت الله الحرام ، ثم لنكن من شهود هذا المولد ، ومن يرقبون مستقبل هذا الوليد ، وما يمكن أن يكون له من وضع في الحياة التي يحيها قومه .. اننا هنا لا نرى شيئاً مما أعده الله تعالى لهذا الوليد من سوابغ فضله واحسانه ، وما طواه القيب عنا من اصطفاء الله تعالى له ، ليكون خاتم رسل الله ، والمبلغ عن الله ، دين الله ، الى عباد الله جميعاً ..!

وبعيداً عن جلال النبوة ، وبمعزل عن انوارها القدسية الجليلة المهيبة ، نرصد مسيرة هذا الوليد في اطار من الزمن بلغ أربعين عاماً ، عاشها « محمد » بين قومه ، قبل أن يكتسى بجلال النبوة ويتوج بتاجها الكريم ..

فماذا يرى الراعون في محمد ، وفي مسيرته على درب الحياة ، وليداً ، وطفلاً ، وصبياً ، وغلاماً ، وشاباً ، وكهلاً ، الى أن بلغ الأربعين من عمره ، حيث التقى برسالة السماء اليه في غار حراء ؟

فهذا انسان من الناس ، ولد لابوين كما يولد الناس ، ثم لم يتلق من الحياة إرثاً من الملك أو الفنى ، كما يتلقى هذا وذاك ، بعض الواردين على الحياة من أبناء الملوك ، وأصحاب الفنى والجاه . وانما السذى استقبله هذا الوليد ، من يوم مولده ، بل وقبل يوم مولده ، هو اليتيم والفقر ، أمدى أعداء الانسان ، وأشدّها ضراوة عليه ، واستبدادا به ، وهو بعد نبته ضعيفة وأهية لم تعلق جذورها بالأرض ..!

هكذا الوليد ، اليتيم ، الفقير .. ماذا تظن به ؟ وما تقدر له مع الإيسام ؟

انه لو جرت الحياة به على مألوفها ، لكان مصيره الى الضياع في دنيا الضائعين من اليتامى والفقراء ، في عالم البادية الغليظة الجافية ، وفي كثف الصحراء ، ووجهها المتجهم الكالغ ..!

ولو أننا أحسننا الظن بالحياة فى شأن هذا الوليد اليتيم الفقير ، لما بلغ بنا الظن فيه على أبعد الاحتمالات ، وأكثرها تفاؤلا ، الى أكثر من أن يكون فنى من فتيان قریش ، يلعب مع اللاعبين ، ويلهو مع اللاهين ، ويقطع أيامه ولياليه فى معاقرة الضمرة ولعب الميسر ، وفى مفاصلة النساء ، ومخالكة القيان .. ثم ينتهى به الامر فى شيخوخته الى أن يكون شيخا من شيوخ قریش ، يأخذ مكانه بين رواد الندوة ، يأخذ ويعطى مما يدور من أحاديث الجد والهزل فيها ، ثم تطويه الايام فيها طوت من مسادات قریش وصعاليكها ، لا يكاد يجرى له ذكر ، او يعلق به خساطر ، الا عند من خلفهم وراءه من اهل وعلان فى زمن ينتهى بانتهاء جيله ، ثم يعفى عليه النسيان الى آخر الدهر !

ليس هذا كل ما يمكن ، وغاية ما يتصور أن تدور فى فلكه حياة هذا الوليد الفقير اليتيم ، الذى ولدته أمنة بنت وهب ، وسمته « محمدا » ودرجته فى سجل المولودين من مواليد قریش ؟ ولكن الذى جاء من هذا الوليد اليتيم الفقير ، منذ أيامه الاولى ، وعلى كل خطوة خطاها فى الحياة بعد هذا - كان شيئا خارجا عن كل تقدير ، مجاوزا كل حساب ، بعيدا عن مواع كل ظن ! واحسبك تنتظر من وراء هذا القول أنى احداثك عن أحداث خارقة ، وعجائب مذهلة ، تطلع عليك من كل خبر من أخباره ، وكل مسوق من مواقفه .. وليدا ، وصبيا ، وفنى ، وكهلا ..

وكلا ، فان شيئا من هذا لم يحدث ، وان يكن حدث كثير او قليل منه فان احدا يومئذ لم يلتفت اليه ، ولم يقف عنده .. وان يكن فى الناس من التفت اليه ، او وقف عنده ، فما كان لهذا اليتيم الفقير حساب فيه .. كل شيء فى محيط هذا الوليد ، كان يجرى فى مجراه المألوف .. فلم تهبط عليه ثروة مفاجئة تتبدل بها حاله ، ولم يتحول فى قریش شيء عما عهد فيها ، من خير وشر ، ومن جد ولهو ، ومن رشاد وغى .. والصحراء هى الصحراء كما عهدها ساكنوها ، لم يتغير وجهها المتجه ، وما يعلوه من جناف وجذب ، وما يتماور عليه من زمهرير الشتاء ، وسموم الصيف !

لقد ظل كل شيء هناك كما عهده الناس .. اليتيم على يته ومقره ، وقریش على عهدها فى صحوها ونومها ، والحياة على سيرها فى نهاريها وليليها ، وكان شيئا لم يكن قد دخل على تلك الحياة ، وكان قدرا من الاقدار المسعدة التى يتغير بها وجه هذا الوجود لم يكن نجم فى سماءها ، وطلع فى افقها ، وكان هذا الوليد اليتيم الفقير لم يكن عما قليل سيلا أسباع العالمين ذكره ، ويبدد ظلام الوجود نوره .. وهكذا ظل هذا النور القدسي مطويا فى ضمير الغيب ، يتحرك فى كيان الحياة فى هيئة ورفق ، الى أن يبلغ الكتاب أجله ، ثم يصبح الناس ذات يوم ، واذا هذا اليتيم الفقير ، هو محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وهادى الانسانية الى الحق ، والى صراط مستقيم !!

- ٩ -

لقد كان هذا اليتيم الفقير يصنع بيد العناية الربانية حياته على طريق النبوة ، دون أن يشعر .. يصنعها فى رفق وعلى مهل ، صادر فى ذلك عن

طبع غير متكلف ، وعن شعور غير مصطنع ، وعلى طريق غير مطروق من أحد .. فهو يصدق القول حين يكذب الناس ، وهو يؤدي الأمانة حيث يخون الناس ، وهو يعف عن الخمر ، حين يتهافت عليها الشيب وال شباب ، وهو يعزف عن اللهو ، حيث يتهالك عليه الرجال والفلمن ، وهو يحقر الاوثان ويشيح بوجهه عنها ، اذ يتخاضع لها قومه ، ويسعون الى مراقدها مصبحين وممسين .. كل ذلك وما اليه من الشرائط الطوة ، والصفات الكريمة الحميدة ، كان يدور في تلك « محمد » ويرسل نوره الوديع في رفق ولطف ، دون أن تنبهر به عين ، أو يفشى به بصر ، ودون أن يثير في الناس ضجة ، أو يحدث في الحياة هزة .. لانه — كما قلنا — يصدر عن طبيعة لا تكلف فيها ، ويتدفق من غطرة سليمة ، لا صنعة معها .. !

ولقد تسال ويسال الناس : من أين لهذا اليتيم الفقير ، بهذا الادب العالي الرفيع ، ومن أين له بتلك الاخلاق المجتمعة من الفضل والنبل ، والجامعة لكل معاني الفضل والنبل ، في بيئة أمية ، غارقة في الجهل والضلال ، نائمة في غياهب الرمال والجبال ؟

انه قد يتهيا لانسان في مثل هذه الظروف أن يستقيم على خلق فاضل ، ولكن بعيد أن يستقيم العمر كله على هذا الخلق ، دون أن يهتز أو يتبدل .. وانه لا بعد من هذا ، وأدخل في باب المستحيل أن يجمع انسان بين اثنتين أو ثلاث من تلك الصفات الفاضلة ، وأن يمسك بها جميعا في قوة واستقامة ، دون أن ينفرط عقدها ، ويتبدد شملها .. !

وأنى لهذا اليتيم الفقير ، في هذا الجو العاصف ، وفي تلك الحياة الجديبة المكفهرة — أنى له أن يربي نفسه هذه التربية العالية ، وأن ينشئها تلك التنشئة الرفيعة ، وأن يحوز كل هذه الفضائل التي خف ميزانها في قومه ، وغربت شمسها في مجتمعه ؟ وأنى لهذا اليتيم الفقير — في هذا المكان ، وفي تلك الظروف — أن يتخلق بأخلاق الانبياء ، قبل أن يلبس ثوب النبوة ، ويتوج بتاج خاتم الانبياء ؟

انه صنع رب العالمين ، وفضل أرحم الراحمين ، يصيب به من يشاء من عباده : « ذلك فضل الله ، يؤتیه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .. ذلك هو مقطع القول ، وكلمة الفصل ، فيها يسال عنه من أمر محمد ، قبل البعثة وبعدها ..

— ١٠ —

ان النبوة التي تلقاها « محمد » من فضل ربه ، على رأس الاربعين من عمره ، هي التي جاءت بتأويل كل ما عرف الناس ، وما شهدته الحياة من أمر « محمد » منذ مولده ، بل ومن قبل مولده الى مبعثه ، مما لم يكن يستبين منه شيء للمتوسمين في وجه (محمد) والمشاهدين لخطواته الرشيدة المستقيمة ، في كل متجه اتجه اليه ، قبل مبعثه ..

ومن هنا بدا الناس يلتقون نظرا مجددا على كل شئسان من شئون (محمد) منذ حلت به ابيه .. فكان حمله حدثا ، ومولده عجبا ، وخطواته على الحياة معجزات ومذهلات !

ان الذين ينظرون الى « محمد » جنينا ، ووليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا — انما ينظرون الى « محمد » النبي ، بعد ان

اشرقت شمس نبوته ، واكتحلت بسنا نورها عين الوجود .. فلا عجب ان يكون كل حدث مهما يكن شأنه محسوباً بحساب النبوة ، موزوناً بميزانها . طالما من سمائها .. وهذا حق لو سلم من طغيان العاطفة الجامحة . او خلص من استبداد الهوى الغالب !!

ان العقل لا ينكر أبداً ان يكون « محمد » نسي جميع ادوار حياته محفوناً بالعناية الربانية . محدوداً بالطفاهما . اذ كان مرشحاً لنبوة النبوات ، وخاتمة الرسالات .. والله سبحانه يصنع لانيبائه فوق ما يصنع للناس جميعاً ، قبل النبوة وبعدها .. يقول جل شأنه في يحيى عليه السلام : « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حياً » فكيف بما يصنع الله لصفوة رسله ، وخاتم انبيائه ؟

وحسبنا في هذا المقام ان نشير الى ظاهرة او ظاهرتين مما يمكن ان ينظر اليه . بعد النبوة — على انه من ارهاصات النبوة ، ومن آياتها البينة ، قبل ان تطلع شمس النبي !

فليس من قبيل المصادفة ان يكون « محمد » هو الاسم الذي اطلقته آمنة على وليدها ، دون غيره من الاسماء الشائعة في قومه . كعبد الدار . وعبد شمس ، وعبد ود ، وعبد يفيث ، وحرب ، وحزن .. ونحو هذا مما يحرص الآباء على تسمية ابنائهم به ، ومما يعد ميراثاً متقللاً في اجيال القبائل والعشائر ..

ان اسم « محمد » لم يسم به أحد من آبائه واجداده ، ولم يسم به عربي ، او قرشي قبله .. فمن اين لابنة وهب بهذا الاسم الذي بشر به المسيح ، علماً على هذا النبي العربي ، كما يقول تعالى على لسان المسيح : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ؟ و « محمد » هو الاحد : والاحود ، والحمد .. !!

ثم ما تأويل هذه الموافقات من الاسماء التي ولدت محمداً ، ونشأته في حجرها ، وأرضعته من ثديها ؟

فأبوه « عبد الله » لا عبد العزى ، ولا عبد الدار ، ولا عبد ود .. انه عبد الله ، وليس عبداً لصنم من تلك الاصنام التي تعبد لها آباؤه واجداده ، وأضافوا وجودهم وذواتهم اليها ..

وامه « آمنة » .. لا خنساء ، ولا عاصية ، ولا رباب ، ولا هند ، ولا دعد .. انها امن وسلام ، حملت في بطنها الامن والسلام الى العالمين ..! وأبو امه « وهب » .. لا جمع ، ولا لهب ، ولا شداد .. انه وهب الحياة لهذه الام المباركة التي ولدت « محمداً » !

وبرضعة « محمداً » « حليمة » .. لا عفراء ، ولا عنيزة .. بل هي « حليمة » أرضعته الحلم ، وبنيت كيانه منه ..

وبنو « سعد » دار حضائنه ، ومرتع صباه ، لا بنو أسد ، ولا بنو ضبة ، ولا بنو نعيم .. انه هلال سعد ، طلع في أفق بني سعد ، ثم ما زال يدرج في منازل السعود ، حتى صار بدرًا ، يبدد ظلمة الليل ، ويكون للمستوحش أنيساً ، وللحيران دليلاً ، وللشهران مسامراً ..

« محمد » .. « آمنة » .. « وهب » .. « عبد الله » .. « حليمة » .. « بنو سعد » .. هي غرائد من كريم الاسماء والصفات ، انتظم منها عقد هذا النسب الكريم ، لن اصطفاه ربه هدى ورحمة للعالمين ..

هذه واحدة الى مئات ومئات كثيرة غيرها ، يجد فيها الناس ريسح

النبوة ، قبل أن يلتقوا بالنبي ، وتصافح عيونهم أنوار ذاته العلوية البهية !

أما محمد النبي ، فإن وصفه يجل عن الوصف ، وإن هباته الجليلة ، وعطاياه العظيمة للإنسانية تستعلى عن الحصر ، وحسب محمد أن يقيم للناس ديناً قيمياً ، محرراً من الشرك والعبودية لغير الواحد المعبود .. وحسب محمد أن يقيم على هدى هذا الدين أمة وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وحسب محمد أن يكون ميراث الإنسانية منه هذا الهدى الذى يقوم فى القلوب والعقول مقام ضوء الشمس فى العيون ، والذى من بعد عنه ضل ، ومن اتخذ سببلاً غير سبيله ضال وخسر .. !

- ١١ -

وندع ما يقول أتباع محمد فى محمد ، وما شهدوا من معجزاته ، وما حفظوا من سيرته ، فقد يكون هذا بمظنة من المبالغة أو النجور ، فى مقام الحب والولاء ، شأن المحبين مع من يحبون ، حيث تكون الكلمة للقلب ، لا للعقل ، وللاوجدان ، لا للادراك ..

ولكن ماذا يقول القائلون فيها تنطق به فى الحديث عن « محمد » السنة لم تعطفها على « محمد » أية عاطفة من قرابة جنس ، أو لفة ، أو دين ، ولم يكن منطقها فيه قائماً على غير منطق العقل المجرد ، أسام الحقائق السافرة التى ينزل العقل على حكمها ، ويفقد وجوده واحترامه أن هو كابر فيها ، فأنكرها ، أو سكنت عنها ؟

وأحسب أن عاقلاً لا يقبل أن يتهم رجلاً مثل « لمارتين » شاعر فرنس العظيم ، بأنه كان مجالاً أو محابياً لمحمد ، إذ يقول فيه : « انه نبى أقل من إله ، وأعظم من إنسان » .. أن لمارتين إذ يقول هذا فى نبى الإسلام لم يكن واقفاً تحت تأثير أية عاطفة غير عاطفة الإجلال والاكبار لهذا الجلال المهيّب ، الذى يطلع عليه من كل أفق ينظر فيه الى هذا الإنسان العظيم .. ! وأحسب أن عاقلاً يحترم عقله يتهم فيلسوفاً عظيماً من فلاسفة القرن العشرين هو (برنارد شو) بأنه كان واقفاً تحت تأثير أية قوة غير قوة الحق ، وهو يشهد شهادة الحق ، عن علم ، ودراسة ، وتمحيص ، فيقول فى محمد ، وفى الدين الذى جاء به محمد : « لقد كان دين محمد موضع تقديرى العظيم دائماً ، لما ينطوى عليه من حيوية معجزة ، لانه على ما يلوح لى ، (الدين الوحيد ، الذى له ملكة الهضم لاطوار الحياة المختلفة ، ولذلك فإنه يستطيع أن يجذب اليه كل جيل من الناس » !!

أما فيلسوف ألمانيا العظيم « جوته » فيقول ، وهو يستعرض الدين الإسلامى ، بوصفه قوة من أعظم قوى التهذيب والتأديب .. يقول « جوته » مخاطباً صاحبه : « أكرمان » : « أنت ترى أن هذا الدين بتعاليمه تلك لا يخفق أبداً .. ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع ، بل أقول بوجه عام : أن أحداً من البشر لا يستطيع أن يذهب الى أبعد من هذا » ..

فهذا قول فيلسوف غزا العالم بفلسفته ، ولفح العقل الحديث بآرائه !!

ونختتم مقولات فلاسفة الغرب وعلمائه بما يقول المسالم العالمى ، « ول ديورانت » صاحب الموسوعة التاريخية : « قصة الحضارة فى العالم » .. فكلية هذا العالم لها قدرها ووزنها فى هذا المقام ، حيث شملت

نظرته الموسوعية العالم كله ، قديما وحديثا ، وأشخاصا وأحداثا ..
يقول « ول ديورانت » :

« إذا حكمنا على العظيمة بما كان للعظيم من اثر فى الناس - قلنا ان محمدا كان من اعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي ، لشعب ألقت به الحياة فى دياجير المهبية ، وحرارة الجو ، وجذب الصحراء .. وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله !!
ثم يقول :

« واستطاع دين « محمد » فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة ، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى العالم .. »

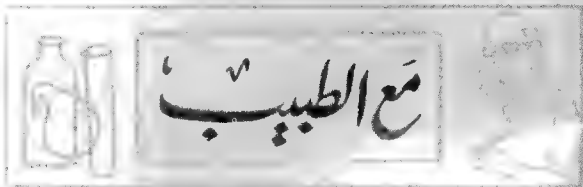
هكذا يقول فى الاسلام ، وفى نبي الاسلام ، كل مبصف ، مسلما كان أو غير مسلم ، لان ذلك هو الحق الذى لا يتغير وجهه أبدا ، اذا استقبلته قلوب سليمة من آفات الهوى ، ونظرت فيه عقول محررة من قيود التعصب ، والحسد ..

ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الذين أنصفوا الحقيقة فى محمد ، وفى دين محمد ، من علماء الغرب وفلاسفته ، لم تكن آراؤهم تلك التى أملتوها على الملا مجرد كلمات صوروها بها تلك الحقيقة التى استبانتم لهم ، وانما كانت آراؤهم هذه منهج سلوك ، وأسلوب عمل فى حياتهم العامة والخاصة .. فكانوا يأنسون بمحمد ، ويترسمون خطاه ، وان لم يعلنوا انهم من المسلمين .. انهم مسلمون عملا لا قولا ، وأتباع محمد حقا لا ادعاء !!

ولسنا نذهب بعيدا كذلك اذا قلنا ان أكثر المسلمين من أتباع محمد ، لم يجاوزوا حدود الكلام عما يعرفون من أخلاق « محمد » وشريعة الدين الذى جاء به محمد - لم يجاوزوا حدود الكلام الى العمل ، وإلى التأسى برسول الله ، والاستقامة على طريقه .. ولو أنهم فعلوا لما كان حال المسلمين اليوم مما يسوء الصديق ويسر العدو ، بل لكانوا قادة ركب الانسانية ، وحارس أمنها وسلامها ، ومصباح نورها وهداها ..

وها نحن أولاء أتباع « محمد » نستقبل مولده العظيم ، كما يستقبل المريض ريح العافية ، وكما يستقبل الثائر فى الصحراء وجه الدليل ..
فليكن احتفالنا بهذا المولد ، وتكريما له ، أن نخرج مما نحن فيه من فواقع الجود ، والتواكل ، والجهل ، والبهيمية ، وأن نولد ميلادا جديدا فى الحياة ، على منا أضواء هذا الميلاد العظيم ، الذى أشرقت به الدنيا فنقيم وجهنا فى هذه الحياة على هدى وبصيرة ، فى ظل الاسوة الحسنة برسول الله ، وبالنجوم الزاهر من أصحاب رسول الله ..

فصلوات الله ، وسلامه عليك أيها النبي ، يوم ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا .. ورضى الله تبارك وتعالى عن آلِكَ وأصحابك ، ومن أقام وجهه على طريقك ، واهتدى بهديك الى يوم الدين .



وفي انفسكم افلا تبصرون

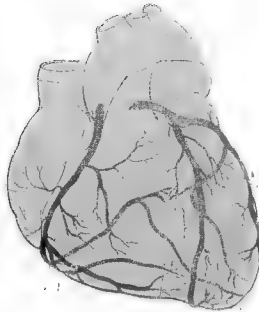
مروءة الصغير

القلب

الدكتور/محمد محمد ابو شوك
رئيس قسم الاراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى

تباركت ربي خلقت الانسان فابدعت صنمه — وجعلت من خلقه معجزة
تحير الالباب وتبهر العقول — الست القائل : « لقد خلقنا الانسان فى احسن
تقويم » . وقولك : « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك نسواك
فعدلك . فى اى صورة ما شاء ركبك » . وها نحن معشر الاطباء — ومعشسر
العلماء فى شتى العلوم والمعرفة نقف فى رحاب علمك حيارى من امرنا ، نبذل
قصارى جهدنا ونخترع الآلات ، ويزداد عدد المسكبرات ، وبعد هذا كله نرد
مبهوتين ونرى الا نستحق بعد كل هذا الا قولك الحق : « وما أوتيتم من العلم
الا قليلا » ..

ها هي الخلية وحيدة تكوين أعضاء الجسم ، نقول انها تتكون من جدار
يجوى بداخله النواة وما حول النواة — ونصف ما فى هذا وذاك حتى نصل الى
مادة السيترولازم فنقول وهى مادة حية ولا نعرف كنه حياتها ولماذا هى كذلك ؟



القلب وشرايينه الناتجة
وقرونها

فإذا كنا قد عجزنا عن فهم الوحدة المكونة - فما بالنا أمام ملايين الملايين من الخلايا المكونة لأجزاء الجسم المختلفة .

ولنبداً بالقلب - هذا العضو الهام من الجسم - والمضخة التي لا تتوقف من يوم أن تبدأ العمل الى يوم أن يفارق الإنسان منا هذه الحياة .. هذا القلب يتركب من الياف عضلية خاصة لها خصائصها ، فهي ليست كمعضلات الحركة وتتميز بأن لها القدرة على الانقباض والارتخاء في حركة منظمة دقيقة تعد بالثواني وما دونها .. هذه الحركة التي لا تتوقف تغذيها اعصاب تساعد على زيادة نبضات القلب عند الحاجة كما هو الحال عند القيام بأى مجهود عضلى ويقل المعدد عند الاسترخاء والنوم - هذا النظام المتناهي في الدقة الذى تتنوع به عضلات القلب - لا في دقة حساب المسافات بين النبضة والنبضة ولكن في قوة النبضة ، فنجد النبضات كلها على وثيرة واحدة حوالى ٧٠ - ٨٠ نبضة في الدقيقة وفى ٢٤ ساعة تكون النبضات $80 \times 60 \times 24 = 288000$ نبضة فكم يكون يا ترى عدد النبضات فى الاسبوع وفى الشهر وفى السنة وفى سننى عمر الانسان - وتستمر هذه المعجزة الخارقة فى هذه النبضات التى يحيا بها الانسان ما شاء الله ان يقضى من العمر وصدق شوقى حين يقول :

دقات قلب المرء قائمة له ان الحياة دقائق وثوان

ويحاول الطباء وما زالوا فى محاولاتهم سنين وسنين يقتلدون هذه الدقات بقلب صناعى ليحل محل القلب الطبيعى - وفشلوا المرة بعد المرة - وكم من ملايين الدولارات صرفت فى هذا المجال دون ما فائدة - ولا أقول ذلك ضناً منا على العلم ولكن لإبراز هذه القدرة الالهية فى عمل واحد من أعمال القلب . ولو أعلمت فى هذا المجال لوجدت نفسى والقارىء فى متاهات لا حـد لها ولكن لأبسط الامر وليضع الواحد منا يده على شريان من شرايينه ويجس نبضه - او يسمع دقات قلبه وهو مضطجع بالليل تام ويالاحظ هذا النظام الدقيق - ثم لينظر ماذا يحدث له لو اختلف هذا النظام لبضع دقائق او حتى لثوان - وتأتى دقة ليست فى آوانها - ويحس كأن روحه ذاهبة وجسمه ينهار - وكم من مريض أسهده هذا الخلل الطارئ - وراح مستنجداً بمن يجيره من هذا الذى نسميه عدم انتظام القلب ، يتسأوى فى ذلك من أسرع قلبه - او بطئ من تخلل نبضات قلبه الطبيعية نبضات زائدة وتجسرى النحوصات لمصرفة السبب من اضطرابات فى القلب نفسه - او أسباب خارج القلب - كزيادة امراز الغدة الدرقية أو خمولها -



القلب من الداخل والصمامات
تأمل التركيب الدقيق

أو اضطرابات نفسية — أو اضطرابات في الجهاز الهضمي . وما إلى ذلك من أسباب — يحاول الطبيب التوصل إليها فيعرف الداء ويصف الدواء . ويتخلل عضلات القلب جهاز أكثر تعقيدا ، ألا وهو جهاز التوصيل يبدأ من بؤرة في الأذن اليمنى ويمر ما بين الأذنين ثم يتفرع إلى البطينين ، وهذا الجهاز تسري فيه الشحنة التي تسير بسرعة مذهشة تغطي الأوامر للعضلات فتقبض وتسري بالترتيب من الأذين الأيمن إلى البطين الأيمن الذي ينقبض فيدفع الدم إلى الرئتين ويسري الدم منهما إلى الأذين الأيسر الذي ينقبض فيدفع الدم إلى البطين الأيسر وهذا الأخير يدفع بالدم إلى الأبرار ليوزعه إلى الجسم . هذه الحلقة الكهربائية الباهرة التي تسير في منتهى الدقة لسنين شاء الله أن يحيها الإنسان دون ما توقف . انى لمعامل الدنيا — أن تقلد جزءا منها بهذا النظام السوى المتين . وهل منا من لم يواجه توقف التيار الكهربى فتعطل العمل أو صارت حياته في ظلام دامس إلى أن يعاد مرور التيار — مهما كانت دقة من يقومون على صيانة هذا التيار .

هذا الجهاز ربما يصاب بمرض كذلك فيتوقف مرور التيار وترتبك نبضات القلب أو ربما يحدث به خلل غيبوت في القلب فنبضات ، أو ربما يتوقف مروره ما بين الأذين والبطين فينقبض كل على حده وفي النهاية يؤدي إلى هبوط في القلب وفي بعض أمراض القلب الحادة الشديدة يتوقف كلية وإذا استمر لفترة طويلة فارق المريض الحياة .

والأمثلة واضحة للعيان أمام أعيننا نحن الأطباء ونحاول أن نزيل النبضات بالمعاقير أو بالآلات — وإذا توقف القلب حاولنا أن نعيد إليه نبضاته بتيارات كهربية وأن نجعلها ولو لبعض الوقت في حباله فاننا نفشل في عشرات بل مئات الحالات — ونعجز أمام القدرة الإلهية العظمى ونلثف حول المريض ونشاهد باعينا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ونذكر قول البارى في علاه .

« غلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . غلولا أن كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين » وأنى لنا أن نرجعها ورب العزة والجبروت قابضها .

ومن أجزاء القلب الهامة الصمامات . صمام ما بين الأذين الأيمن والبطين الأيمن وصمام في مدخل الشريان الرئوى بين الشريان والبطين الأيمن ثم صمام ما بين الأذين الأيسر والبطين الأيسر وصمام بين البطين الأيسر والأبرار وهو صمام الأبرار .

هذه الصمامات المختلفة تختلف في تركيبها وفي حجمها ، في قوة اتصالها



صمام صناعي
مكان الطبيعي

بالقلب والاورتار التي تربطها به في عملها — والفاحص المدقق فيها يحار في قدرة صانعها — وبها لها من قدرة التي تجعل الصمام يفتح ويغلق في وقته المحدد لا يؤخر ولا يقدم في جزء بسيط من الثانية — بل كل شيء بمقدار .
ويريد الباري في علاه أن يجعلنا نحس بنعمائه فيبتلى البعض بمرض خلقى لا يمكن أن تستمر معه حياة — وإذا أصيب أحد هذه الصمامات أو أكثر من واحد بمرض — كما هو الحال في مرض روماتيزم القلب — أو تكلس صمامات القلب فإما أن يضيق هذا الصمام أو يتهتك ويتسع — وفي كلتا الحالتين لا يستقيم للقلب عمل — ويتعرض لهبوط أن عاجلاً أو آجلاً .

ونحاول نحن الأطباء جاهدين لنصلح خلل الصمامات ، فإن كان هذا الخلل طفيفاً وخصوصاً إذا كان الخلل قد أدى إلى ضيق في الصمام ، حاولنا توسيع هذا الصمام حتى نهيئ للريض حياة تبعده عن نوبات هبوط القلب وربما ننجح لفترة طالت أو قصرت ولكن ربما يعاود الخلل الصمام — أما إذا كان الصمام قد تهتك واتسع فإنا نكون في مأزق أشد — وقد حاول الجراحون أن يقللوا من هذا الاتساع بشتى الطرق — ولكن أنى لهم هذا وباعت كل محاولتهم بالفشل ، ثم توصلوا إلى وضع صمام من البلاستيك بدلاً من الصمام الطبيعي — ولكن سرعان ما وجدوا أن هذا ربما يعمل لفترة ثم تظهر المضاعفات من تجلط الدم حول الصمام — يؤدي إلى تجلط في الشرايين الهامة كالتي تذهب إلى القلب أو إلى المخ أو إلى غيرها من الأعضاء .. ثم استعاضوا بالصمام البلاستيكي صامماً ينقل من قلب متولى — وما زالت التجارب تنسق طريقها — ومدى صلاحية هذه الصمامات ومنتهى فعاليتها . وفي بعض الحالات التي يكون قد استئحل أمرها واثرت على معظم الصمامات وأرهقت القلب — بدأوا بزراعة القلب ..

وأعيد القول هنا ، أن الدين يشجع العلم ، ويرفع من قدر العلماء وما من دين حث على العلم كالدين الإسلامي — وآياته الباقية شهادة بذلك : « فليُنظر الإنسان مع خلق » .. « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله .. من شيء » . أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بناها وزيناها وما لها من فروج » . وغير ذلك من الآيات التي تحث على العلم والبحث . ولكن أردت أن أبرز القدرة الخارقة وراء هذا الصنع المتناهى في الدقة والذي يستعمر السنين العديدة دون ما خلل أو عطب اللهم إذا أصيب الإنسان بمرض شاده الله له ..

وتشاء قدرة القادر العظيم أن تجعل هذه المساهمات وامتداد الفشماء المبطن للقلب من الداخل في حالة ملساء حتى لا تلتصق به السكرات الدموية الحمراء أو صفائح الدم فتساعد على صنع جلطات دموية تذهب في شرايين الجسم المختلفة فتحرم أجزاء من الجسم من الدم الذي هو سبب حياتها .

وللقلب شرايينه الخاصة به والمعروفة باسم الشرايين التاجية والذي يمدق في الصفة التشريحية للقلب يجد العجب في شريان هذه الشرايين — في وسطها وفي تفرعها داخل القلب والأجزاء التي يدها كل شريان من الشرايين — وفي كيفية عمل هذه الشرايين حينما تمتلئ وحينما تدفع ما بها من دم في عضلات القلب لتقوم بعملها الذي يلائم هذا العضو الهام من الجسم ، وكيف أنها تحتفظ دائماً بفاعليتها حتى لا يتعرض القلب لأي اضطراب وهي في قدرتها هذه كقدرة صاحبها التي تغذي المخ — إذ أن كلا منها من الأعضاء الجوهريّة في الجسم وليس ببعيد على كل قارئ ما يحدث للانسان عند حدوث خلل سواء أكان طفلياً في الشرايين وما سببه من نوبة صدرية أو انسداد في الشريان وما يسببه من مرض الجلطة أو السدة القلبية المعروف ، ويساعد على مرض الشرايين التاجية مرض البول السكري — والسمنة ، والتدخين ، ومرض ارتفاع ضغط الدم — وما أولى المرضى بهذه الأمراض أن يعالجوا ما ألم بهم من مرض حتى يحافظوا على سلامة هذه الشرايين التاجية الهامة .

ويبين القلب من الخارج غشاء أملس رقيق مكون من طبقتين رقيقتين يدعى التامور — وهذه الله بأعصاب الحس حتى يكون حارساً أميناً على هذا العضو الجوهري ، فإذا أصاب القلب أذى من الخارج أو من الداخل وامتد إلى التامور حملت أعصاب الحس به نبأ الإصابة وترجمته إلى ألم شديد يحس به المريض فيسمى للعلاج والدواء حتى لا تأتي أي آفة ولا مرض على القلب — ومن عجب أن ناقوس الخطر هذا الذي يحس به المريض يكون مع كل نبضة من نبضات القلب ليحث المريض فلا يتوانى في علاج نفسه ، وما أشده من ألم يحسه كل من اكتوى به . وما التهاب التامور الذي يسببه فيروس — أو يكون نتيجة لروماتيزم القلب أو نتيجة لتدور به — أو لغير ذلك من الأسباب إلا مثل حي للآلام الشديد الذي يشكو منه المريض فيسمى إلى طبيبه جاهداً في أسرع وقت لمعالجه ما ألم به . .

ويشاء الحكيم الخبير أن يضع القلب في مكان أمين في وسط الصدر خلف عظم قوى هو عظم القص ويغطي معظم الجزء الباقي منه بالرنجتين حتى يكون بعيداً عن المخاطر التي يتعرض لها الجسم .

هذا هو قلبك أيها الإنسان الذي كرمك ربك ومن حقه عليك أن تشكره ، وتحافظ على نعمته هذه وتبتعد جاهداً عما يضره من تدخين لا يجدي نفعا ، وتعرض الأمراط في البدانة تجده — وأمراض مثل الضغط والبول السكري لا بد من معالجتها ، والأسراع في علاج كل مرض يلم به فإن الله قد خلق الدواء والدواء .

ولكن بقلبك هذا مع الله الذي خلقك من عدم وقال وقوله الحق :
« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .
— ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا مضغة فخلقنا عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

مولد

نبى الحجة



قال مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب في حال من الغوضى والاضطراب ، والتفكك والارتباك ، وسوء الاحوال ، وكانت الولاية شعبة عنهم ينخذ اهل كل بيت صنما يعبدونه ، او يتقربون به الى الله .

وليس بينهم جامع يجمعهم ، ولا قانون يسودهم ، ولا حاكم يسوسهم ، سوى المصيبات القبلية التي تبني على التحزب الاعمي .
ولم يكن حال الامم الاخرى بافضل من حال العرب ، في كثير من التواهي ، خصوصا حال دولة الفرس في الشرق ، ودولة الرومان في الغرب .

ويصور الاستاذ الامام الشنيخ محمد عبده الحالة في تينك الدولتين بقوله : « كانت الدولتان في تنازع وتجادل مستمر ، دهاء بين المسلمين مسنوكة . وقوى منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الاحن حالكة . وسع ذلك فقد كان الزهو والترف والاسراف والفخفة والتفنن في الملاذ بالغة جدا لا يوصف . في تصور السلاطين والامراء ورؤساء الاديان من كل أمة . وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يفت عند حد . فزادوا في الذرائب . وبالفوا في فرض الاتاوت ، حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم . واتوا على ما في ايديهم من ثمرات اعمالهم . وانحصر سلطان القوى في اختلاف ما يبد الضعيف ، وفكر العاقل في الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن اسفولى على تلك التسبوب من ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب . لفقد الامن على الارواح والأموال .. الخ (١) » .

واذا كان حال العرب وغير العرب بهذا السوء وأكثر منه فقد نهأت البشرية لتتلقى منقذا ينقذها من ضالتها ، وهاديا يهديها على طريق رشادها وصوابها ، فكانت ولادة الرسول الاعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وكان أن بعثه الله سبحانه للبشرية جمعاء . ونلائسانية عامة . رحمة وهاديا ومرشدا ومنقذا ..

قال تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٢) ، وقال ايضا : « وما أرسلناك الا كافة للناس » (٣) ، وقال سبحانه : « يا ايها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (٤) .

ولذلك كانت رسالته الى الناس عامة ، لأن الحاجة للإصلاح والانتاذ كانت عامة ، وقد قامت دعوته على وحدانية الله وعبادته ، وارتباط الانسان بخالقه ، كما قامت على الرحمة والحرية والعدالة والانصاف ، وقد هيا الله لهذه المهمة الكبرى والرسالة الانسانية العظمى ، نفسها كانت في فرة

الصناء والنقاء ، مجندة لاتخاذ الانسان من جهالاته ، وانتشاله من تخبطه وضلالاته ، واحاطته بالرحمة الشاملة ، والعناية الكاملة ، لا تحل حقدًا ولا ضغينة ، هدفنا ان يسمو الانسان ليحتل مكانة الكرامة التى اختصه الله بها ..

قال سبحانه : « الله اعلم حيث يجعل رسالته » (٥) .

فسار المصطفى المختار فى سبيله ، وجل همه ان يهتدى اى انسان لطريق السداد ، وان تسلم آية نفس من مهاوى الشر والفساد ، ويعتبر ذلك نصرا عظيما ، ونجاحا كبيرا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لسهل بن سعد — رضى الله عنه « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » (٦) .

ولذلك لان هذا الرسول الاعظم لا يقصد الدنيا ومباهجها ، وانما يقصد اصلاح البشر ، واتخاذ الانسانية من سفاهتها وضلالتها ، واحاطتها بالرحمة والرعاية ، ولذلك كان فى سيرته رؤوفا رحيمًا ، ويعتبر الرحمة من اهدافه ، وافضل مناهجه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (٧) . ويقول أيضا : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » (٨) . وقال أيضا : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى ترحموا » ، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله ، قال « انه ليس برحمة أحدكم — يعنى نفسه وخاصة — ولكنها رحمة العامة » (٩) . وقال أيضا : « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء » (١٠) .

وعن ابي بكر الصديق — رضى الله عنه — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى » (١١) .

فهذا الرسول العظيم الذى جنده الله منذ نشأته ليحيط العالم برحمته ، ويشمل الناس برأفته ، ويكون القدوة فى مسلكه ، منحه الله سبحانه وسام التقدير الاعظم بقوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » (١٢) .
ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لاتيكم مكارم الاخلاق » (١٣) .

من صفات الرسول ..

قال الحسن بن على — رضى الله عنهما : سألت خالى هند بن أبى هالة التميمي وكان وصافا ، عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا أستمى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به ، فقال فى حديث طويل ، جاء فيه :

« كان صلى الله عليه وسلم غصبا مغصبا ، يتلألا وجهه تلالو القمر ليلة البدر ، يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجانى ولا بالمهين ، يعظم النعمة وان دقت . وكان اذا اوى الى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء ، جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ، ثم جزء نفسه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العابة بالخاصة ، فلا يدخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار اهل الفضل على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم ، ويخبرهم بالذى يتبغى لهم ، ويقول :

ليبلغ الشاهد الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياي ، فانه من بلغ سلطاننا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة .. وكان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم ، فيكرم كريم كل قوم ، ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ..

يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه .. لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس ، خيارهم وأفضلهم عنده أحبهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة ..

من سألته حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، نصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء . مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤين فيه الحرم ، ولا تنثنى فلتاته ، متعادلين متواصين فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوي الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والاكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه .. ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسالته ، حتى أن كان أصحابه يستجلبونهم ، ويقول : إذا رأيت طالب الحاجة فأرشدوه .. وجمع له الحذر في أربع ، أخذه بالحسن ليقنطد به ، وتركه القبيح ينتهي عنه ، واجتهاد الرأي فيما أصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم الدنيا والآخرة (١٤) .

أسباب انتشار دعوة محمد

بهذا السمو في مبادئ الرسالة العظمى ، وهذا التجرد لمصلحة الإنسانية في أهداف صاحب الذكرى ، انتشرت بسرعة دعوة الاسلام ، وعم خيرها ، وارتفعت رايانها بصورة لا يعرف لها مثل . وفي غزوة القادسية ، بعث قائد المسلمين سعد ، رسولا الى رستم ، ربيع بن عامر ، وقال هذا لرستم في شرح أهداف الرسالة : أن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

وحينما سأل رستم المخيرة بن شعبة عما جاء بهم ، قال له ، أنا لا نطلب الدنيا ، وإنما هنا نطلب الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولا ، بدين هو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا نذل ، ولا يمتصم به إلا عز ، أما عبوده الذي لا يصلح شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والاقترار بها جاء به من عند الله ، وإخراج العباد من عبادة بعضهم الى عبادة الله ، والناس بنو آدم ، هم أخوة لأب وأم (١٥) .

قيس من نور المصطفى

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تحاسدوا

ولا تباغضوا ولا تتاحشوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله أخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه (١٧) .

وخطط صاحب الرسالة العظمى لتشمول المسافع ، وذبوع الخيرات والاكتثار من المبرات ، وقال صلى الله عليه وسلم : « السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل » (١٧) .

وعن أبي سعيد الخدري — رضى الله عنه — قال : بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء رجل على راحلة له ، قال فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) . قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل (١٨) .

وعن أبي امامة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن آدم أنك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وأبدأ بمن تعمل ، واليد الطيما خير من اليد السفلى (١٩) .

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا ، الموطنون أكثافا ، الذين يألون ويؤلون ، وأن أبغضكم إلى الله المشامون بالنميمة ، الملتصقون العثرات ، المفرقون بين الإخوان (٢٠) .

ال شخصية الإسلامية ..

واذا كان صاحب الذكرى في رسالته صلى الله عليه وسلم عبد إلى هذا سمو الإنسانى الزفيع حتى يوجد المصقوف على الخير ، ويؤلف القلوب ، ويكبح النفوس الجامحة ، فانه حافظ على الشخصية الإسلامية ، وحرص على أن لا يخوب المسلمون في غيرهم ، وجعل شعاره ، الاهتمام بشئون المسلمين ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، واعتبر المسلمين أمة واحدة ، يتناصرون ويتعاونون على ما فيه خيرهم وخير الإنسانية جميعا ، ويقاوموه الظلم والعدوان ، مهما كان مصدره ، لأن هدف رسالة صاحب الذكرى أن ترتفع راية العدالة ، وأن يأخذ كل ذي حق حقه ، مهما كانت عقيدته ومذهبه ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » (٢١) .

وفي السنة كثير من الاحاديث ترمى إلى الاحتفاظ بالقومية (الشخصية) وعدم غناء الأمة في غيرها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (خالفوا سنة الجوس) . ومثل النهى عن التشبه بغير المسلمين ، إلى آخر ما يحفظ للأمة كيائها ولا يذيبها في غيرها (٢٢) .

موقفه من غير المسلمين

كان موقف صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين

الذين يعاهدون المسلمين . الوفاء بمعهودهم والحرص على مشاعرهم وعدم
ايدائهم . وشرع من الاحكام فى حسن معاشرتهم ما شرح له صدورهم ،
واباح البر بهم والاقساط اليهم ، وبصايرهم والتزوج بهم ، واكل ذبائحهم
وطعامهم ، وجعل للزوجة غير المسلمة من الحقوق مثل ما للزوجة المسلمة ،
واباح للمسلم ان يضيئهم ويذهب الى ضيافتهم . ويتبادل معهم التهادى
والتصافح ، « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » (٢٢) .

وفى ظل هذه الاحكام السبحة والعدالة والمساواة . عاش غير
المسلمين مع المسلمين فى بلاد الاسلام . طوال السنين . لا يشكون ضيما
ولا يبخسون حقاً ، وفى كتاب خالد بن الوليد لاهل الحيرة : شرط عليهم ان
عليهم عهد الله وميثاقه ان لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم . من العرب
ولا من العجم ، ولا يذلوه على عورات المسلمين ..
وجعل لهم ايها شيخ ضعف عن العمل او اصابته آفة من الآفات او
كان غنيا فافتقر وصار اهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت
مال المسلمين وعياله .. الخ .

ولما رأى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا
اشداء على اعداء المسلمين ، وعونا للمسلمين على اعدائهم ، فبعث اهل كل
مدينة . ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتحسسون
الاخبار عن الروم وعن ملكهم وعما يريدون ان يصنعوا ، فأتى اهل كل مدينة
يخبرون المسلمين بان الروم قد جمعوا لهم جمعا لم ير مثله ..

ولما تناقلت الاخبار على ابي عبيدة بذلك كتب الى كل وال ممن
خلفه فى المدن التى تصالح اهلها يأمرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من
الجزية والخراج . وكتب اليهم ان يقولوا لهم : انما اردنا عليكم اموالكم لانه
بلغنا ما جمع لنا من الجبوع ، وانكم قد شرطتم علينا ان نمنعكم ، وانا
لا نقدر على ذلك . وقد اردنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط
وما كتب بيننا وبينكم ، ان نصرنا الله عليهم . فقالوا ردكم الله علينا .
ونصركم عليهم . فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا واخذوا كل شئ بقى لنا
حتى لا يدعوا لنا شيئا .

وكان ان غلب الروم ونصر الله المسلمين وكتب ابو عبيدة الى عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - بها افاء الله على المسلمين . وما اعطى اهل
الذمة من الصلح ، فكتب اليه عمر كتابا جاء فيه ، ومنع المسلمين من ظلمهم
والاضرار بهم واكل اموالهم الا بحقها . ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى
جميع ما اعطيهم . ولا يمنع الاسلام اية دولة اسلامية من ان تتبادل مع دولة
غير اسلامية علاقات تجارية وسياسية وسفراء لتنظر المصالح ، ومعااهدات
لضمان حقوق الافراد فى كل من الدولتين واجراء العدل بينهم(٢٤) .

كلمة الختام ..

مع ان دعوة صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم بقيت فى اوج
سموها . وذروة انسانيتها . الا انها تضمنت ضرورة الحفاظ على مقومات
الامة الاسلامية وكيانها . ودفع العدوان مهما كان مصدره . ولزوم تكاتف
المسلمين وتعاونهم لدرء الخطر . عما يصيب اى فريق او جماعة منهم ، او
اى جزء من اراضيهم ومقدساتهم .

فازاء الخطر المتلاحق على ديار الاسلام من كل صوب ، وخصوصا في الديار المقدسة والمسجد الاقصى المبارك ، يفرض على المسلمين فرضا لا مناص منه ، أن تجند قواهم وتكتل جهودهم وترصد أموالهم وتعبأ كل طائفتهم ، في معركة مصيرية ، لحفظ بيضة الاسلام ، وإعادة الديار والمقدسات الى أربابها ، حتى يمكن أن يرضى صاحب الذكرى ، ولعلها مناسبة سعيدة أن يتذكر المسلمون ما عليهم من أعباء يجب المبادرة لتحملها ، حتى ترد الكرامة ، ويصان السلام في هذا العالم ، والحذر ، الحذر من أي تخاؤل أو تهاون قد يقتضى على البقية الباقية ، ويعرض الأمة الاسلامية لشر مستطير ، قد يهز كيائها ويزلزل عقيدتها وأصولها ، وعندئذ لا ينفع أي احتفاء ولا يجدى أي تظاهر في مولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه .

(١) رسالة التوحيد ، الاسلام شريعة الله الخالدة .

(٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء .

(٣) آية ٢٨ من سورة سبأ .

(٤) آيات ٤٥ - ٤٧ من سورة الاحزاب .

(٥) آية ١٢٤ من سورة الانعام .

(٦) رواه أبو داود .

(٧) رواه البخاري ومسلم .

(٨) رواه الطبراني .

(٩) مستدرک الحاكم .

(١٠) البخاري .

(١١) رواه احمد بن هدى في الكامل .

(١٢) آية ١ من سورة القلم .

(١٣) رواه البخاري في الادب .

(١٤) الطبراني في الكبير ومجمع الزوائد .

(١٥) البداية والنهاية لابن كثير ، والاسلام شريعة الله الخالدة .

(١٦) أخرجه مسلم .

(١٧) رواه الترمذي .

(١٨) أخرجه مسلم وأبو داود .

(١٩) رواه الترمذي .

(٢٠) رواه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .

(٢١) آية ٣ من سورة المائدة .

(٢٢) الدعوة الاسلامية .

(٢٣) آية ٤٦ من سورة الحنكوت .

(*) ان وقوع بعض هذه الحوادث بعد وفاة الرسول الاعظم لا يمنع من ذكرها في سيرته ، لأن الخلفاء وقادة المسلمين انما كانوا يتصرفون بهدى الرسول وعلى سنته .

(٢٤) الدعوة الاسلامية .

خواطر
مؤمن

خطبات الإمام الحسين

وقف الأستاذ الكبير أبو الحسن
الندي وقفاً تأمل عند غدار حراء .
بمكة المكرمة ، وتحدث الى نفسه
بهذه الكلمات المضيئة :

قصر الإمارة بقتلاً أعياء فتحة الشعب
المظلوم والفلاح المجهود والعامل
المنهوك ، وكانت كتوز الاغنياء والامراء
مقفلة أعياء فتحتها جوع الفقراء وعمرى
النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول
المصلحون الكبار والمثرمون العظام
فتح قفل من هذه الاقفال ففشلوا
واخفقوا ، فان القفل لا يفتح بغير
مفتاحه ، وقد ضيعوا المفتاح من
قرون كثيرة ، وجربوا مفاتيح من
صناعتهم ومعادنهم فاذا هى لا توافق
الاقفال ، واذا هى لا تغنى عنهم

كانت الحياة كلها اقفالا معقدة ،
وابوابا مقفلة كان العقل مقفلا أعياء
فتحه الحكماء والفلاسفة كان الضمير
مقفلا أعياء فتحه الوعاظ والمرشدين ،
كانت القلوب مقفلة أعياء فتحتها
الحوادث والايام كانت المواهب مقفلة
أعياء فتحتها التعليم والتربية والمجتمع
والبيئة ، كانت المدرسة مقفلة أعياء
فتحتها العلماء والمعلمين ، كانت
الحكمة مقفلة أعياء فتحتها المتظلمين
والمحاكمين ، كانت الاسيرة مقفلة
أعياء فتحتها المصلحين والمفكرين ، كان

شيئا ، وحاول بعضهم كسر هذه
الأنفال فجحروا أيديهم وكسروا
ألتهم .

ففى هذا المكان المتواضع المنقطع
عن العالم المتهدن على جبل ليس
بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم فى
عواصم العالم الكبيرة ومدارسه
الفخمة ومكتباته الضخمة ، هنا من
الله على العالم برسالة محمد صلى
الله عليه وسلم وفى رسالته عاد
هذا المفتاح المفقود الى الانسانية
ذلك المفتاح هو (الايمان بالله
والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه
الأنفال المعقدة تقلا تقلا ، وفتح به
هذه الابواب المغلقة بابا بابا ، وضع
هذا المفتاح النبوى على العقل الملتوى
فتفتح ونشط واستطاع ان ينتفع بآيات
الله فى الاتاق والانس ويتوصل مع
العالم الى غاظه ومن الكثرة الى
الوحدة ، ويعرف شناعة الشرك
والوثنية والخرافات والاوهام .

وكان قبل ذلك محاييا ماجورا
يدافع عن كل قضية حقا وباطلا .
وضع هذا المفتاح على الضمير
الانسانى النائم فانتبه ، وعلى الشعور
الميت فانتعش وعاش ، وتحولت
النفس الامارة بالسوء مطمئنة لا
تسيغ الباطل ولا تتحمل الاثم حتى
يعترف الجانى امام الرسول بجريمته
ويلج على العقاب الاليم الشديد ،
وترجع المرأة المذنبة الى البادية حيث
لا رقابة عليها ثم تحضر المدينة وتعرض
نفسها للمعقوبة التى هى أشد من
القتل ، ويحمل الجندي الفقير تاج
كسرى ويخفيه فى لباسه ليستر
صلاحه وامانته عن أعين الناس
ويذنبه الى الامير لانه مال الله
الذى لا تجوز الخيانة فيه .

كانت القلوب مغلقة لا تعتبر ولا
تزدجر ولا ترق ولا تلتين فاصبحت
خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع

بالآيات وترق للظلم وتحنو على
الضعيف .

وضع هذا المفتاح على القوى
المخنوقة والمواهب الضائعة فاشعلت
كاللهيب وتدفقت كالسيل ، واتجهت
الاتجاه الصحيح فكان راعى الأبل
راعى الامم ، وخليفة يحكم العالم ،
وأصبح فارس قبيلة وبلد قاهر
الدول وفاتح الشعوب العريقة فى
القوة والمجد وضع المفتاح على
المدرسة المغلقة وقد هجرها المعلمون
وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمة
العلم فذكر من شرف العلم وفضل
العالم والمتعلم والمربى والمعلم وقرن
الدين بالعلم حتى كانت له دولة
وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت
المسلمين مدرسة ، وأصبح كل
مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره ،
ووجد اكبر دافع الى طلب العلم
وهو الدين . وضعه على المحكمة
المغلقة فاصبح كل عالم قاضيا عادلا ،
وكل حاكم مسلم حكما مقسطا ،
وأصبح المسلمون قوامين لله شهداء
بالقسط ووجد الايمان بالله وبيوم
الدين فكثر العدل وقل الجدل وفقدت
شهادة الزور والحكم بالجور .

وضعه على الاسرة المغلقة وقد
فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده
والاخ وأخوته والرجل وزوجته وتعدى
من الاسرة الى المجتمع فظهر بين
السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس
والكبير والصغير ، كل يريد أن يأخذ
ما له ولا يدفع ما عليه وأصبحوا
مطفئين اذا اكتلوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم
يخسرون ، فغرس فى الاسرة الايمان
وحذرهم من عقاب الله وقرأ عليها
قول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم
الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به

والإرحام ان الله كان عليكم رقيبا ،
 وقسم المسؤولية على الأسرة والمجتمع
 كله فقال (كلكم راع وكلكم مسؤول
 عن رعيته) وهكذا أوجد أسرة عادلة
 متحاببة مستقيمة ومجتبى عسالا ،
 وأوجد في أعضائه شعورا عبقيا
 بالامانة وخوفا شديدا من الآخرة حتى
 تورع الأمراء وولاة الأمور وتقشفوا
 وأصبح سيد القسوم خادهم ووالى
 الأمة كولى اليتيم : فزهدهم في الدنيا
 ورغبتهم في الآخرة وأضاف الأموال
 لله وقرأ عليهم « وانفقوا مما جعلكم
 مستخلفين فيه » . « وآتوهم من مال
 الله الذى آتاكم » .

وحذرهم من اكتناز وادخار الأموال
 وعدم الانفاق في سبيل الله فقرا
 عليهم (والذين يكتزون الذهب والفضة
 ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
 بذاب اليم يوم يحس عليها في نار
 جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
 وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
 فذوقوا ما كنتم تكتزون » .

أبرز رسول الله صلى الله عليه
 وسلم برسائله ودعوته الفرد الصالح
 المؤمن بالله الخائف من عقاب الله
 الخاشع الأمين المؤثر للآخرة على
 الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها
 بإيمانه وقوته الروحية يؤمن بأن الدنيا
 خلقت له وأنه خلق للآخرة فإذا كان
 هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق
 الأمين ، وإذا كان تقيرا فهو
 الرجل الشريف الكادح ، وإذا كان
 عاملا فهو العامل المجتهد الناصح ،
 وإذا كان غنيا فهو الغنى السخى
 الواسى ، وإذا كان قاضيا فهو
 القاضى العادل الفهم ، وإذا كان
 واليا فهو الوالى الخالص الأمين ،
 وإذا كان سيذا رئيسا فهو الرئيس
 المتواضع الرحيم ، وإذا كان خادما
 أو أجيرا فهو الرجل القوى الأمين ،
 وإذا كان أمينا للأموال العامة فهو
 الخازن الحفيظ المليم وعلى هذه

البنات قسام المجتمع الإسلامى
 وتأسست الحكومة الإسلامية ولم
 يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال
 الا صورة مكبرة لاختلاق الأفراد
 ونفسياتهم فكان المجتمع صالحا آمينا
 مؤثرا للآخرة على الدنيا . متغلبا على
 المادة غير محكوم لها انتقل اليه صدق
 التاجر وأمانته وتغف الفقير وكسحه
 واجتهاد العامل ونصحه وسخاوة
 الغنى ومواساته وعسل القاضى
 وحكمته وأخلاص الوالى وأمانته
 وتواضع الرئيس ورحمته وقسوة
 الخادم وحراسة الخازن ، وكانت
 هذه الحكومة حكومة رائدة . مؤثرة
 للمبادئ على المنافع والهداية على
 الجباية وبثأثير هذا المجتمع وينفذ
 هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها
 إيمان وعمل صالح وصدق وأخلاص
 وجد واجتهاد وعدل في الأخذ والعطاء
 وانصاف النفس مع الغير .

وقد ذهلت في حديثي للنفسى
 وتمثلت الى الجاهات الإسلامية
 الأولى بجمالها وتفاضيلها كأنى
 أشاهدها وانفس في جوها وانقطعت
 الصلة بينى وبين العالم المعاصر .
 وحانت منى التفاته الى هذا
 العصر الذى نعيش فيه فقلت انى
 لارى أثقالا جديدة على أبواب الحياة
 الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل
 طويلة ، وخطت خطوات واسعة ،
 وتعقدت الحياة والتوت ، وتطورت
 المسائل وتنوعت ، وتساءلت هل
 يمكن فتح هذه الاقفال الجديدة بذلك
 المفتاح الضيق ؟ وأبئت أن أحكم بئىء
 هل اختبر هذه الاقفال وأضع عليها
 المفتاح ، وليست هذه
 الاقفال بالبنان فإذا هى الاقفال
 القدية بتلويين جديد وإذا المشاكل
 نفس مشاكل العصر القديم ، وإذا
 المشكلة الكبرى وأساس الأزمة هو
 الفرد الذى لا يزال لبنة المجتمع
 وأساس الحكومة ، ووجدت أن هذا
 الفرد قد أصبح لا يؤمن الا بالسلادة

والقوة ولا يعنى الا بذاته وشهواته
وانه يبالغ فى تقدير هذه الحياة
ويسرف فى عبادة الذات وارضاء
الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه
وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة
الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر
شقاء هذه المدينة فاذا كان تاجرا
فهو التاجر المحتكر للنهم الذى
يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها
عند غلائها ويسبب المجاعات والازمات
واذا كان فقيرا فهو الفقير الثائر الذى
يريد أن يتغلب على جهود الآخرين
بغير تعب ، واذا كان عاملا فهو
العامل المطفف الذى يريد أن يأخذ
ماله ولا يدفع ما عليه ، واذا كان
غنيا فهو الفنى الشحيح القاسى
الذى لا رحمة فيه ولا عطف ، واذا
كان واليا فهو الوالى الفاض التاهب
للاموال واذا كان سيدا فهو الرجل
المستبد المستأثر الذى لا ينظر الا
الى فائدته وراحته . واذا كان
خادما فهو الضعيف الخائن واذا كان
خازنا فهو السارق المختلس للاموال ،
واذا كان اكبر من ذلك فهو المادى
المستأثر الذى لا يخدم الا نفسه
وحزبه ، ولا يعرف غيره واذا كان
زعيا او قائدا فهو الوطنى او الجندى
الذى يقدس وطنه ويعبّد عنصره
ويدوس كرامة البسلامد الاخرى
والشعوب الاخرى واذا كان مشرعا
فهو الذى يسن القوانين الجائرة
والضرائب الفادحة واذا كان مخترعا
اخترع المدمرات والناسفات واذا كان
مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة
للشعوب والمخربة للبلاد والقنبلة
الذرية التى تهلك الحرث والنسل
واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ
لم ير بأسا بالقضاء هذه القنابل على
الامم والبلاد .

وبهؤلاء الامراد تكون المجتمع
وتأسست الحكومة فكان مجتمعا
ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر
وثورة الفقير وتطيف العامل وشح

الفنى وغش الوالى واستبداد السيد
وخيانة الخادم وسرقة الخازن
ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء
واجحاف المشرع واسراف المخترع
وقسوة المنفذ ، وبهذه النفسيات
المادية تولدت ازمات طريفة ومشاكل
معقدة تشكو منها الانسانية بثمها
وحزنها كالسوق السوداء وغشوا
الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء
الاشياء والتضخم النقدى واصبح
المفكرون والمشرعون لا يجدون حلا
لهذه المشاكل واصبحوا اذا خرجوا
من ازمة واجهوا أزمة اخرى بل أن
حلولهم الفاصرة ومعالجتهم المؤقتة
هى التى تسبب ازمات جديدة وتنقلوا
من حكومة شخصية الى ديكتاتورية
الى ديكتاتورية ثم الى ديكتاتورية ومن
نظام رأسمالى الى نظام اشتراكى
الى شيوعى واذا الوضع لا يتغير لان
الفرد الذى هو الاساس لا يتغير ،
ويجهلون أو يتجاهلون فى كل ذلك
أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو
عرفوا أن الفرد هو الاساس وأنه
فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه
وتقويمه لانهم على كثرة مؤسساتهم
العلمية ودور التعليم والتربية والنشر
لا يملكون ما يصلحون به الفاسد
ويقومون امواجهه ويحولون اتجاهه
من الشر الى الخير ومن الهدم الى
البناء لانهم أغلصوا فى الروح وتخلوا
عن الايمان وفقدوا كل ما يغذى القلب
ويغرس الايمان ويميد الصلة بين
العبد وربّه وبين هذه الحياة والحياة
الاخرى وبين المادة والروح وبين العلم
والاخلاق وفى الاخير ادى بهم اغلاصهم
الروحى وماديتهم العمياء واستكبارهم
الى استعمال آخر ما عندهم من
آلات التدمير التى تبديد شعبا بأسره
وتخرب قطرا بطوله حتى استهدفت
الحضارة والحياة البشرية اذا تبادلت
الدول المتحاربة استعمال هذه
الآلات للنهاية الاليمة .

الفتاوى

ميراث ووصية واجبة

قرأت في آخر العدد الخاص من الوصى الاسلامى ذى الرقم (٨٥) المؤرخ في غرة المحرم لعام ١٣٩٢ هـ في الصفحة (١٢١) منه في حقل الفتاوى ، فتوى تقدم بها السيد وهبه على من القساهرة يسأل فيها عن رجل توفي عن زوجته ، وأربعة أبناء ، وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت في حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء في التركة ؟

حيث كان الجواب هو: تقسيم التركة الى خمسة وتسعين سهماً ، منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينها ..

وأنا قبل أن أعطي رأيي في الجواب هذا أريد أن أوضح أن هذا الحكم (وهو استحقاق أبناء البنات حصة في تركة جدهم مع وجود أخواهم بطريق الوصية الواجبة) خاص بقانون الوصية المصرى دون غيره من قوانين وتشريعات الدول العربية والإسلامية الأخرى ، ذلك أن قانون الأحوال الشخصية السورى النافذ في سورية يقضى بحصرمان ولدى البنت هذين من التركة ، فلا يستحقان شيئاً فيها ، لا عن طريق الإرث ، ولا عن طريق الوصية الواجبة ، لأنها من ذوى الأرحام ، وذوو الأرحام مؤخرون عن أصحاب الفروض والمصبات في الإرث ، وما دام هناك أبناء وبنات وهم من المصبات فلا يستحق أبناء البنت شيئاً معهم ، وكذلك الوصية الواجبة فإنه لا حصة لهم فيها لأنها في القانون السورى المشار اليه خاصة بأولاد الإبن دون أولاد البنت ، وفقاً للبادء / ٢٥٧ / منه ..

وكذلك الحال في جميع البلدان الاسلامية التى تسير في نظام المواريث على وفق المذاهب الفقهية المتعددة من غير أن تصدر تشريعات خاصة له ، فإنها لا تعطى ابنى البنت حصتين من التركة شيئاً لا ارضا لأنها من ذوى الأرحام كما تقدم ، ولا وصية واجبة لأن اللغة الاساسى في مذاهبه المشهورة المتعددة — وفيها المذاهب الأربعة — لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى جاء به القانون المصرى ..

والغلب الظن أن المسائل انما يطلب اجابته وفقاً للغة الاسلامى .

لا وفقاً للقانون المصرى لأن ذلك هو المصدر للذهن عند الإطلاق ، ولولا طلب المسائل اجابته وفقاً للقانون المصرى دون غيره ..

وعليه فان التركة هذه تقسم نقفا الى ثلثين وثمانين سهما تعطى الزوجة منها أحد عشر سهبا ، وهو ثلث التركة فرضا ، ويعطى كل من الذكر من الاولاد اربعة عشر سهبا ، والانثى منهم سبعة أسهم تعصيبا ، ولا شيء لولدى البنت ، لإتھما من ذوى الارحام ..

هذا الى جانب اننا اذا رجعنا الى قانون الوصية المصرى الذى اعتمدته الاستاذ المفتى فى فتواه هذه ، وليفناه على هذه المسألة لوجدناها غير منطبقة عليه ، ولا اعلم كيف قسمت التركة الى خمسة وتسعين سهبا ..

والحل الصحيح لهذه المسألة ونقلا لما جاء فى قانون الوصية المصرى هو ان تقسم المسألة الى - ٨٢٤٨ - سهبا يكون للزوجة منها - ٩٧٩ - سهبا فرضا ، ولكل واحد من الابناء الذكور - ١٢٤٦ - سهبا ، ولكل واحد من البنات - ٦٢٣ - سهبا تعصيبا ، ويعطى ولدى البنت - ٦١٦ - سهبا منافسة بينهما ، لكل منهما - ٣٠٨ - وصية واجبة ولا تصح على خلاف ذلك ..

د : أحمد الحبيب الكردى
جامعة دمشق



ان ما ذكره المحقق صحيح ويجب تفصيلاته ونحن معه فى أن الفقه الاسلامى فى مذاهبه المشهورة المتبعة لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى اعتمدته القانون .. وان الذى اصدر الفتوى المذكورة اعتمد فى اخراج مقدار الوصية الواجبة على رأى بعض العلماء المحدثين فى أن طريقة تطبيق قانون الوصية الواجبة فى مثل الحالة المسؤول عنها تكون باعطاء فرع الولد الذى مات فى حياة والده من تركة الجد مثل نصيب واحد من الاحياء من الورثة ممن يملكون الولد الميت فى الذكورة أو الانوثة . وعلى هذا استخرج نصيب بنتى البنت فقسم المسألة ٨٨ سهما ، ولما كان نصيب كل من البنتين الوارثتين ٧ أسهم ، رأى اعطاء بنتى البنت المتوفاة ٧ أسهم كذلك وصية واجبة ، ثم اضاف أسهم الوصية الواجبة هذه الى أصل المسألة فكانت (٩٥) الا أن هذه الطريقة لا تنطبق على نص القانون الذى يصرح بأنه (يجب لفرع ولد الموروث وصية بمثل ما كان يستحقه أبوهم لو كان حيا) ..

فلو كانت أم هاتين البنتين حية لما كان نصيبها ٧ / ٩٥ وانما يكون نصيبها ٧ / ٩٦ وقد بين العلماء ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه (احكام التركات) ص ٢٩٢ وما بعدها وجسه الخطأ فى الطريقة السابقة ، وان وجه الصواب فى القسمة أن يفرض الابن أو البنت الذى مات اولاحيا ، ويعرف نصيبه وهو فى مسألتنا هذه ٧ من ٩٦ فيكون هو الوصية الواجبة وما بقى بعد ذلك وهو (٨٩) سهبا يعمل له مسألة جديدة هى هنا (٨٨) سهبا ، فيقسم على الورثة بموحيهها ..

محمد سليمان الاشقر

الوعي الإسلامي

برير

مخيمات اسلامية

ورد في مجلة الوعي الإسلامي التي تصدر عن وزارتك الموقرة في عددها رقم ٨٤ الصادر في غرة ذى الحجة سنة ١٣٩١ الموافق ١٧ يناير سنة ١٩٧٢ في الصفحة رقم ١٠٨ في باب « قالت صف العالم » تحت عنوان « مؤتمر المسلمين » حديث عن مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ، جاء فيه « ان شباب المسلمين في جمهورية مصر العربية وغيرها من الدول الإسلامية لفي حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة في فصل الصيف .. ويا حبذا لو اقيمت الى جانب هذه المؤتمرات الدراسية مخيمات صيفية اسلامية يمارس فيها الشباب الحياة الإسلامية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم واجسادهم .

واود أن احيطكم علما أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية ، يقيم منذ نشأته في عام ١٩٦٠ معسكرا صيفيا بمدينة ابي بكر الصديق لأبناء العالم الإسلامي (بالاسكندرية) على هيئة مؤتمر لشباب وشابات العالم الإسلامي الذين يتلقون العلم في مصر يستمر طوال شهرى يوليو وأغسطس من كل عام يلتقى فيه أكثر من ألفى طالب وطالبة من جميع الجنسيات ضيوفا على المجلس ويشمل البرنامج اليومي لهذا المعسكر ، الى جانب اداء فرائض الصلاة بجامع المدينة وممارسة انواع الرياضة المختلفة وزيارة معالم الاسكندرية والاستمتاع بصيفها ، ندوات ومحاضرات يحضرها أساتذة متخصصون من الجامعات وعلماء الأزهر ورجال الفكر والادب وزعماء وسفراء الدول الإسلامية ، هذا بالإضافة الى اجتماع الطلاب والطالبات في حلقات للمناقشة بنادى المدينة لدراسة شئون دينهم وكل ما يهم العالم الإسلامى .

مدير

ادارة الإبحات

محمد جمال الدين خليل

اتقوا الله

لاحظت وجود مصاحف ، يوجد التحريف على غلافها الخلفي ، حيث كتب المحرغون المتاجرون الآية الكريمة (لا يمسه الا المطهرون) — خطأ .. والصواب (لا يمسه الا المطهرون) .

وذلك بزيادة تاء ، حارب الله تعالى امثال هؤلاء الذين اتخذوا آيات الله هزوا ، وغرتم الحياة الدنيا ، ولم يتورعوا عن تحريف آيات الله الكريكات حتى على غلاف المصاحف .

ورغم اننى لم اتمكن بعد من مراجعة المصحف كله للتأكد من عدم التحريف الا اننى اناشدكم التدخل لصيانة كتاب الله من التحريف واقترح :

- ١ — سحب المصاحف المحرفة من السوق .
- ٢ — عدم السماح ببيع المصحف الشريف الا فى امكان شريفة وتحت اشراف الدولة .
- ٣ — مراجعة المصحف ، ومراجعة غلافه .
- ٤ — العقاب الرادع والحاسم والفاصل لكل من حرف ، ويحرف القرآن الكريم على عيون الأشهاد ليكون ذلك رادعا لهم وعبرة لغيرهم .
- ٥ — ارسال هذا الخطاب لأعلى سلطة اسلامية بالأزهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية ، وكافة الهيئات الدينية فى مصر والبلاد الاسلامية لاتخاذ اللازم .

انور مهبود وصفي عبد الوهاب
كلية الهندسة / جامعة عين شمس

الوعى الاسلامى

يسعدنى أن انوه بالجهود المضاعفة التى تبذلونها للنهوض بمجلتكم الاسلامية الراقية (**الوعى الاسلامى**) التى تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فحفظكم الله ورعكم ، وزاد فى معناكم ، وآجركم على ما تبذلونه من حب صادق وتضحية وايثار فى سبيل نشر كلمة الله ، والدفاع عن عقيدته الطاهرة ومبادئ الصالح .

محمد بنعبد الله
رئيس تحرير دموع الحق — الرباط

التراث المفقود والموجود

جاء فى المقال المنشور فى العدد (٨٣) تحت هذا العنوان : أن تاريخ الاسلام الذهبى يقع فى خمسين مجلدا لم يطبع منه الا خمسة فقط ، مع أن المطبوع منه ستة أجزاء لا خمسة ، ويحتوى الجزء السادس على تاريخ عشرين سنة من ١٤١ — ١٦٠ وهو فى ٣٤٤ صفحة ، وهو مذكور فى قوائم المكتبات منذ بضع سنين .

محمد زاهر أبو اليمن

بأقلام القراء

نصيحة ..

تحت هذا العنوان يقول : الأستاذ / عبد الرحمن احمد شامى :

تحاول الدول النامية المسكينة أن تعيش فى العصر الحديث فتستورد الأدوات ، والآلات اللازمة لها ، من الدول الغنية المتقدمة .. لأنها لا تملك المصانع التى تزودها بها تحتاجه من هذه الأدوات ، والآلات ، والسلع ، وتضطر (والمضطرب يركب الصعب) أن تدفع ثمنها باهظا ، وتزف دماءها لى تشتري هذه الآلات .. وعلى سبيل المثال فالطائرة الألمانية (البوينج ٧٢٧) التى خطبها الفدائيون ، كما ورد فى صفح ٢٧/٢/١٩٧٢ ، تساوى ثمانية ملايين جنيه تقريبا ، وقد الحت على فكرة عقد مقارنة بين ثمن طائرة من هذا الطراز وبين انتاج الأفدنة الزراعية ، وغرض السؤال التالى نفسه .. كم عدد الأفدنة التى تنتج محصولات يشتريها ثمن طائرة واحدة ، ومتوسط انتاج الفدان الواحد يقدر بمائة جنيه فى العام : $8000 \div 100 = 80$ فدان .

فثمان طائرة واحدة يشتري انتاج ثمانين ألف فدان من المصنوعات الزراعية ، فمن المغبون فى هذه الصفقة ، ومن الخاسر فى هذه البيمة ؟ الدول النامية التى اشترت أو الدول الغنية التى باعت .. ؟

وإذا افترضنا أن المصنع ينتج طائرة واحدة فى الاسبوع ، وخمسين طائرة فى العام ، فهاذا يشتري انتاج مصنع واحد : $50 \times 80 = 4000$ ، انتهت المسألة الحسابية البسيطة الى أن انتاج المصنع الواحد فى العام يشتري محصولات أربعة ملايين فدان .

والمصانع هناك بالمئات لمعشرات ومئات وآلاف السلع ، والأدوات ، والآلات ، والأجهزة التى تستوردها الدول النامية المسكينة التى تظن انها باستعمالها لهذه الآلات قد عاشت فى العصر الحديث ، وبدلت ظهر الناقة بجوف الطائرة ، اذا أرادوا أن يتحضروا فلا بد أن يضعوا هذه الآلات بدلا من الاكتفاء باستعمالها فقط ، وأن يكونوا كما قال الزهاوى :

طاروا بأجنحة الصناعة. فامتطوا ظهر الرياح مكان ظهر النوق وهم فى معظم الأحوال لا يملكون الا المصنوعات الزراعية ، والمواد الخام ، التى تقدم لهذه الدول الغنية بثمن بخس بدلا لهذه الآلات المستوردة .

ان هذه الدول تنزف دماءها ، وستظل كذلك الى أن يغنيها الاستقلال الاقتصادى بالمصانع الكثيرة عن أن تنزف دماءها ، وينقل هذا الدم المنزوف الى الدول الغنية .. هل تستطيع الدول النامية أن تحارب الفقر وهى تمصر عصرا ،

نعيم الدول الغنية في رؤس الدول الفقيرة ، ومصائب قوم عند قوم فوائد .
جريت هذه الدول انشاء القليل من المصانع نصحت التجربة ، وادت كثيرا من
الفايات الاجتماعية والاقتصادية بوجود هذه المصانع ، واهمها أن تحفظ ثروتها
لأهلها ، وأن لا تنزف دماءها .

قد يقول قائل : واين الاموال التي تكفي لانشاء الصناعات الهامة التي
يكلفنا استيرادها شيئا غالبا ؟ والجواب هو توجيه النظر الى الاموال التي تنفق
على الزينة ، والمزخرف ، والنعيم ، والمظاهر ، والترف ، والاسراف ، الا تستطيع
هذه الاموال ان تقيم المصانع المطلوبة .. !

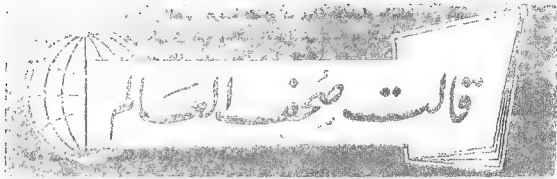
قد يقول قائل آخر : واين الخبرة والعلم ؟ والجواب ان بعض الدول الفنية
التي لا تجاوز عمر الطفولة في الحضارة والنهضة قد بدأت حياتها وحضارتها من
نقطة الصفر ، ومع هذا فقد سبقت الدول والامم العربية في الحضارة .
ولكن الدول النامية المسكنة مصابة في همم أهلها ، وعزائم بنيتها ، فهم
يريدون أن يتحضرُوا بهمهم وأموال وعقول وأيدي غيرهم ، فهل يتسقى هذا المنطق
أم لا بد أن تنهض وتنحضر ونفعل ما يفعله غيرنا بهممننا وأموالنا وعقولنا
وأيدينا .. !!

المادية الملهدة ..

تحت هذا العنوان يقول الأخ تاج السر محمد حمزة من السودان :
بين المادية والدين عدواة وحرب لا هوادة فيها ، ولا مهادنة ، فالمادية
نظام مادي يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة ، تزعم أن كل ما يقع في
التاريخ من حركات فان مرجعه الى الاسباب الاقتصادية ، وما دامت الاسباب
الاقتصادية هي التي تملئ على التاريخ حركته ، فلا مجال للاعتراف باله خالق
أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقوة وإرادة .
وليس الدين عند الماديين الا تفسير خاطيء للظواهر الاجتماعية ، وبقية
من بقايا النظم الاستغلالية البالية فهو عندهم مظهر جهل ، ووسيلة استغلال ،
ومن واجبهم أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده . فالمادى هو الذى ينبذ دينه ،
ولا يكتفى بأن يتبرأ من الدين بقلبه بل يعمل ما وسع له لرد المؤمنين بالله عن
دينهم .

ويغضب الماديون في تبرير انكارهم للدين ، ومحاربتهم له ، فيزعمون ان
الدين خرافة ، وجاهل ، ويعللون انتشار الاديان بالظروف المادية التي عاش
فيها الانسان الاول ، ويقولون : ان الانسان الفطرى يقف عاجزا امام ظواهر
الطبيعة كالرعد والبرق مما جعله يرداها الى ارادة عليا ، فسمى لكسب عطفها
واصطناع الوان العبادات ، ومن ثم نشأ الايمان بالقوى غير المنظورة .
فالمادية الملهدة تعادى الاديان ، ومن ثم فهي مخالفة لمبادئ الاسلام
الاساسية ، واساس العقيدة الاسلامية شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا
رسول الله ، واعتبار القرآن وحى الله للنبي محمد ، والايمان بالحياة بعد الموت
والجزاء ، والثوبة ، والعقاب ، وهذه جميعا ينكرها الملحدون .





كتبت مجلة (المسلم) تحت هذا العنوان تقول :

يظهر أن صيت المسلمين على ما يحدث في القلوب قد شجع الآخرين في مناطق أخرى ، فقد جاء من جنوب أفريقيا .. أن علماء المسلمين في بورت اليزابيث بجنوب أفريقيا دعوا رئيس حكومة جنوب أفريقيا إلى ضمان سلامة المساجد الإسلامية من الحريق وأعمال الفوضى ، وقد جاءت هذه الدعوة بعد أن تعرضت المساجد في كل من (سيمولزناون وكليرون مونت وكيب تاون) وغيرها لحرائق وأعمال تخريب وإهانة على يد عصابات مجهولة .. هذا الخبر وهو نتيجة طبيعية لموقف المسلمين إزاء مشاكلهم ولا أظن أن كثيرا من مؤسساتنا الإسلامية في العالم لديها علم به ولا أظن أنها ستتحرك بالصورة المطلوبة التي توفق هذه التصرفات وتنبهها من الظهور مرة أخرى و .. يا مسلمو العالم .. أن اليهود في أي بلد إذا تعرضوا لمقويات مشروعة وقانونية فالمؤسسات اليهودية في العالم والأفراد منهم يتحركون فيما بالكم إذا تعرضوا لأي أهانة المسماة خيرا منهم وأكثر هددا .. أني أرجو وأنا أنشر هذا الخبر أن يكون لنا موقف آخر مع فعله هذه الإهانات ومثيلها سواء في القلوب أو في جنوب أفريقيا أو ..

ونشرت مجلة (المجتمع) الكويتية تحت هذا العنوان :

إن أوروبا بدأت تزحف على أسرها مع زحف الأفكار والمذاهب المختلفة وإن هذه العيوب إذا لم تعالج بالاسلام انتشرت واستتبت وأصبحت آفة من الآفات التي تهدم مجتمعا وتقوض كيان أمنا وإن مظاهر هذه العيوب بدأت تظهر واضحة في أبنائنا وبناتنا المتسكمين هنا وهناك واللاذين في هذا المكان أو ذاك ..

في الشوارع حيث تظهر بهم مراكزهم الأمريكية الطالشة فيزججون الحارة ويشيرون أصحاب الناس ويبدون بانفسهم إلى الهلاك وفي الأسواق حيث يسسيهون لاهئين بها عن لهم أمي يرسلون إليه نظراتهم الجائعة وفي القنارات وعلى شسواطئ البحار حيث لا يتركون أسرة تهم بجمال الطبيعة في هدوء وأطمئنان .

هذه كلها ظواهر مرضي عضال ينخر في الأسرة كالسوس ولا نرى من هذا المرض باعينا إلا هذا الجيل النائر القمرد والرافض في كل مكان، أن أسرنا وقد أمماها هب الظهر ، وفي وقت عصدها طغيان المادة لم تعد تعبا بالرقابة على الأبناء وحسن تربيتهم وتوجيههم بل أن الزوجين في الأسرة فقدوا الرابطة الاصيلية التي تجمعهما على المودة والرحمة فانشغل الزوج بسرانه ورحلاته ولم تجد الزوجة فيه ما كانت تؤمله فلم تعد تبالي باحترامه أو تقديره أو حتى حفظه في غيبته وتسربت إلى الأسرة في مجتمعا مظاهر التفسخ الأخلاقي فكثر السهرات والعفلات المختلطة وخفت اللباس

وقصرت وكشفت الخفائن وانتهت الفرصة للشهوات وبدأ الاهتمام بالمظهر من ملابس ورياش واثاث وقصور وحدائق يطغى على كل شيء وتفلنت الاسرة من عاداتها الاسلامية الاصيلة وتقاليدها الدينية العريقة وكان الاولاد نتاج هذا الجو وثمرة هذا التفكك .

صحيح ان الاسرة لا بد من بنائها بناء جديدا ليس اساسه استبداد الرجل وطفيفانه وضياح حقوق المرأة واضطهادها وكبت الاولاد وقهرهم فلئن كانت هذه بعض ظواهر الاسرة فى عهود تطلت عن الاسلام فنحن لسنا ملزمين بها كاسس تقوم عليها أسرنا الاسلامية الحديثة والتي تقف فى وجه هذه التيارات الحضارية المتلاطمة والمستوردة .

ان الثقافة مفتاح الحياة فى هذا العصر الذى لم يعد للامى مكان فيه وان هذه الثقافة من حق ربة الاسرة ومديرة شئونها قبل اى انسان آخر لكن هذه الثقافة يجب ان تكون خادمة لهذا الدين موطدة لدماليمه مركزة لاركانه .

فلتتعلم الفتاة ولتتسع مداركها ولتخط بكل ما تستطيع الاحاطة به من علم وخبرة ولتشارك بعد ذلك فى حياة امتها بكل منحنى من مناحيها ولكن فى بيتها اما تصنع الاجيال مصلحة ترشد من يضل عائلة تثبت فكرها ومبادئها سياسية تقول رايها وما تؤمن به اجتماعية تقبل العطرة وتراب الصدق وفى اسلامها مجال يتسع لكل ذلك شرط ان تعمل فى أطرها وبوحي منه .

ان الاسرة مصنع الرجال ومولد الإبطال ولقد آن لنا ان نبدا رحلتنا من داخلها فننير جوانبها ونبدد الظلمات من حولها ونوثق رابطتها ونديم ودها فان الخير منها ينبعث اذا اردنا ونغيا يندفن اذا رغبنا ..

ماذا فى أمريكا ؟

نشرت احدى المجلات المسيحية حديثا على لسان طبيب امريكى قالت فيه :

ان المثل الهزلى يتقاضى مليوناً من الدولارات فى السنة بينما يتقاضى المدرس فى مدرسة عاليه الفين من الدولارات بلغ عدد القتلى فى حرب فيتنام فى مدة التسع سنوات ٢٣.٠٠٠ قتيل ولكن المسائل المخمور فى بلادنا قتل فى طرقات أمريكا فى هذه المدة عينها ٢٤.٠٠٠ قتيل وقد كشفت الإحصاءات الاخيرة عن أن ٢.٠٠٠ شخص على الاقل يقتلون سنويا باطلاق النار عليهم .. يضاف الى هذا جرائم هتك العرض والفساد والاباحية التي تهدد نظامنا الاجتماعى كله ثم ينبغي ان نعرف فى ألم وأسى أن الرجل الاسود فى بلادنا لم يحظ بكامل حريته انما هو (نصف عبد) بالامس اصدرت محكمتنا العليا قرارا يصم بغير الدستورية اى تعليم دينى يقدم للأطفال فى مدارسنا وأنه مما يناقض روح الدستور ان ندمج فى برنامج التعليم اية معرفة عن الله وانك لقرى اليوم ٨٥٠.٠٠٠.٠٠٠ من الأمريكيين أو ٦٢٪ من السكان لا ينتمون لأية كنيسة بصفة اسمية وبالإلمس اصدرت احدى الولايات قرارا بتحريم اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى اثر ذلك انعقدت المحكمة العليا بالولاية واصدرت حكما بعدم شرعية قرار الحاكم ومخالفته لروح الدستور .



تجديد العالم الاسلامي

الاستاذ : عبد المعطي بيومي

السكوت : زار البلاد وفد من السفراء المسلمين في لندن خلال جولة في بعض الدول الاسلامية للدعوة لجمع تبرعات لإنشاء المركز الاسلامي ، ومسجد في لندن .

● انفق على أن يبذل الصندوق الكويتي للتجربة العربية مشروعات في الاردن ، وفي السودان ، في اطار التعاون بين الكويت والدول العربية .

● قررت وزارة الاوقاف تخصيص ايجار البيوت التي انشأتها الوزارة لموظفي المساجد .

● اقيم في الشهر الماضي بقاعة المعهد الديني احتفال حضره الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المحم وكيل الوزارة حيث سلم سيادته الشهادات لخريجي معهد الإمامة والخطابة .

مصر : قام الرئيس انور السادات بالتشاور مع المسؤولين في المملكة العربية السعودية ، والكويت ، في اطار خطة لتوطيد دعائم الاخوة العربية .

● أعلن الرئيس السادات أن مصر ماضية في تطوير اسلحتها ، وتصنيع هذه الاسلحة محليا ، لمواجهة تصنيع اسرائيل لاسلحتها .

● تحدد يوم ٩ سبتمبر القادم موعدا لاتعداد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة بعد أن كان محمدا له آخر مايو القادم ..

● بعث الزاهر وفدا من علماء المسلمين للاتصال بالمسؤولين وبالمسلمين في الفلبين لاختساد الفتنة ، ووقف الذابح ضد المسلمين .

السعودية : أكد جلالة الملك فيصل لأكثر من مائتي صحفي بأن معظم فساد العالم انها كان نتيجة للصهيونية والذاهب اللاحدية .

● اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الثالث عدة قرارات بالموافقة على قيام الامانة العامة ، وميزانيتها ، وادانة اسرائيل .

● خصصت السعودية اذاعة خاصة للقرآن الكريم ابتداء من سفر الماضي في كل من الرياض وجدة ..

الاردن : أعلن الملك حسين عزمه على تنفيذ قراره بإنشاء المملكة العربية المتحدة ، من قطر اردني وقطر فلسطيني ، يتمتع كل منهما بالحكم الذاتي ، رغم اعلان الدول العربية عن رفضه .

العراق : أبلغ العراق حكومة الاردن باتها وافقت على اعادة التبادل التجاري والاقتصادي بين البلدين .

● دعمت العراق الى وحدة فورية مع مصر وسوريا وتجرى اتصالات على مختلف المستويات لتحقيق هذا الهدف ..

● اقترح العراق على جامعة الدول العربية انشاء صندوق عربي لمساعدة عائلات شهداء المقاومة ..

لبنان : أعلن الرئيس اللبناني أن لبنان لن تغير موقفها من الفدائيين ، رغم العمليات الاسرائيلية في الجنوب في الشهر الماضي .

● تلقت لبنان مساعدات من الكويت ، مصر ، والسعودية ، لاعادة بناء القرى التى هدمتها القوات الاسرائيلية المتعدية فى الشهر الماضى .

● وافقت الحكومة اللبنانية على انشاء المجمع العربى الاسلامى ، ومهمته احياء التراث العربى الاسلامى بالتعاون مع بعض الدول العربية .

قطر : تبرعت قطر بمبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرلينى لبناء المسجد والمركز الاسلامى فى لندن (بتكلف بناؤه حوالى مليون ونصف مليون جنيه استرلينى) .

السودان : توصل فى السودان الى اتفاق يمنح الجنوب الحكم الذاتى فى اطار السودان الواحد . ● سيجرى قريباً استفتاء شعبى للانضمام الى دولة اتحاد الجمهوريات العربية .

ليبيا : سيقوم الرئيس معمر القذافى بزيارة لباكستان فى شهر ابريل الحالى ، والجدير بالذكر ان ليبيا كانت قد بذلت جهداً مركزاً لادانة الهند ونصرة باكستان .

● استشهد خمسة ليبيين فى معارك بين الامرائيليين والفدائين الفلسطينيين فى منطقة جنوب لبنان .

● صدر قرار بمنع دخول المجلات التى تنشر صوراً نسائية عارية أو مثيرة .

الجزائر : قام مساعد وزير الخارجية الأمريكى للشئون الافريقية بزيارة الجزائر فى الشهر الماضى فى اطار التعامل الاقتصادى بين البلدين .

● دعت الجزائر الى استنصار النضال العربى ضد اسرائيل .

موريتانيا : أكد الرئيس الموريتانى أن موريتانيا تستلهم الشريعة الإسلامية أساساً لحياتها وتقدمها .

باكستان : أعلن الرئيس الباكستانى أن حالة الحرب مستمرة بين باكستان وبين الهند ، وأنه يصل الهند مسئولية اغتيال أسرى الحرب الباكستانيين .

● رفض المسئولون عن الحكم فى دكا استقبال بعض أعضاء وفد المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجة ..

الهند : طردت الهند (...) مسلم من المناطق التى تحتلها من باكستان الغربية كما أقامت الهند عدة تحصينات على خط وقف إطلاق النار بينها وبين باكستان .

● أعلنت رئيسة وزراء الهند أنها لن تطلق سراح أسرى الحرب الباكستانيين إلا إذا اعترف الرئيس الباكستانى بإدارة ما يسمى ببنجالاديش .

أخبار متفرقة :

أوغندا : قرر الرئيس عيى امين طرد جميع الاسرائيليين من أوغندا .
لندن : انتهى أخيراً اتحاد يضم الجمعيات الإسلامية الـ ٥٩ التى تمثل الجالية الإسلامية فى بريطانيا (نصف مليون مسلم) .

● قام وفد من السفراء المسلمين بجولة فى السعودية ، والكويت ، وقطر ، والإمارات العربية بهدف الاستعانة على بناء مسجد ومركز إسلامى فى لندن .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامور عليهم ، وتقاديا لفسياح المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات متدنا من الآن ، وعد الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعدد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

- القاهرة :** شركة توزيع الاخبار - ٧ شارع الصحافة .
جدة : الدار السعودية للنشر - ص.ب ٢٠٤٣ .
الرياض : مكتبة مكة - شارع الملك عبد العزيز .
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة - ص.ب ٢٢ .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة - ص.ب ٤٦ .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
عدن : وكالة الاهرام التجارية - السيد محمد قائد محمد .
الكلاب : مكتبة الشعب - ص.ب ٢٨ .
مسقط : المكتبة الحديثة - السيد يوسف فاضل .
صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية - السيد عاصم ثابت .
دمشق : الشركة العامة للطباعة والنشر - ص.ب ٢٣٦٦ .
الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٢٤٧٣ .
الابيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية - ص.ب ٦٧ .
عمان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات - ص.ب ٢١٥ .
طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى - ص.ب ١٣٢ .
بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية - ص.ب ٢٨٠ .
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - كورنيش الزرعة .
دبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .
ابوظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - السيد غازى بساط .
الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - ص.ب ١٧١٩ .
الدوحة : سالم الانصارى - الدوحة / قطر .
- ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

٤	حديث الشهر	خير إدارة الدعوة والارشاد
٨	خاتم النبيين	للشيخ أحمد حسن الباقوري
١٤	النبي الأُمي	للدكتور محمد البهي
١٩	من هدى السنة	للدكتور علي عبد القم عبد العبيد
٢٣	الطلاق	للشيخ محمد أبو زهرة
٣٢	مولد آخر رسول ورسالة	للدكتور محمد سلام مذكور
٤١	المكتبة	اعداد الاستاذ عبد الستار فيفي
٤٢	الله أعلم حيث يجعل رسالته	للدكتور وهبة الزحيلي
٤٨	يا للرجال بغير دين	للشيخ محمد الغزالي
٥٥	الأسوة الحسنة	للاستاذ محمد المجنوب
٦٣	أنت انت الله	
٦٤	الطريقة الحديثة للهجوم على الاسلام	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٧١	محمد عليه الصلاة والسلام في	
٧٦	ابحاث المستشرقين	للشيخ طه المولى
٧٨	المساعدة	
٧٨	مولد محمد انسان الانسانية	للاستاذ عبد الكريم الفطيم
٧٩	القلب	للدكتور محمد أبو شوك
٩٤	مولد نبي الرحمة	للشيخ عبد العبيد السالح
١٠١	محطم الاقفال	
١٠٥	الفتاوى	التحرير
١٠٧	البريد	التحرير
١٠٩	باقلام القراء	التحرير
١١١	قالت الصحف	التحرير
١١٣	الاخبار	اعداد الاستاذ عبد المعطي بيومي